العلاقة الشخصية مع الله

للأب الأرثوذكسي
أنتوني م. كونياريس

مراجعة وتقديم
نيافة الأنبا متاؤس
أسقف دير السريان

العلاقة الشخصية مع الله

من أجل تنمية علاقة شخصية يومية
مع الرب يسوع

مراجعة وتقديم
نيافة الحَبر الجليل / الأنبا متاؤس
أسقف ورئيس دير السريان العامر

للكاهن الأرثوذكسي
الأب
أنتوني م. كونياريس

هذا الكتاب تُرجِم عن:

God And You : Person to Person

By Fr. Anthony M. Coniaris

Light and Life Publishing Company.

P.O.Box 26421

Minneapolis, MN 55426-0421

U.S.A

والمؤلف هو **الأب أنتوني كونياريس** - كاهن يخدم في كنيسة العذراء مريم الأرثوذكسية اليونانية في مينيابوليس بالولايات المتحدة الأمريكية، كان مسئولاً عن العمل الأرثوذكسي الطلابي بجامعة مينيسوتا، وله من المؤلفات الأرثوذكسية نحو الستون كتاباً، وقد نجح من خلال كتاباته في جعل الأرثوذكسية للشباب رسالة ذات تقليد حي.

اسم الكتاب : **العلاقة الشخصية مع الله**

اسم المؤلف : **الأب أنتوني م. كونياريس**

اسم المُترجم : بطرس كرم صادق

الطبعة الأولى : سبتمبر ٢٠٠٤

الطبعة الثانية : أبريل ٢٠٠٥

الطبعة الثالثة : فبراير ٢٠٠٦

الطبعة الرابعة : فبراير ٢٠٠٨

الطبعة الخامسة : فبراير ٢٠٠٩

المطبعة : مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا العجائبي بمريوط.

رقم الإيداع : **٢٠٠٤/١٤٣٥٢**

الترقيم الدولي : **I.S.B.N.: 977 - 17 - 1597 - 6**

الرب يسوع والقديس مينا رئيس دير أنبا أبوللو

الرب يسوع والقديس مينا رئيس دير أنبا أبوللو ببلدة باويط التي تقع غرب مدينة ديروط - أسيوط.

هذه الأيقونة من القرن السابع وتُعتبر مثلاً رائعـــاً للفن القبطي، ومحفوظة الأن بمتحف اللوفـــر بباريس. وفي الصورة يظهر السيد المسيح له المجد وقد كُتِبَ بجوار الهالة التي حول رأسه كلمة " ⲫⲱⲧⲏⲣ " أي " المُخلِّـــص ". والسيد المسيح يُطوِّق كتفي القديس بذراعه اليُمنى، وقـــد أُدرج اسم القديس مرتين " ⲁⲡⲁ ⲙⲏⲛⲁ ⲡⲣⲟⲉⲓⲥⲧⲟ " أي " أبا مينا الأول ". ويرى الدارسون وصفه بالأول يعني أنه كان رئيس الدير.

قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

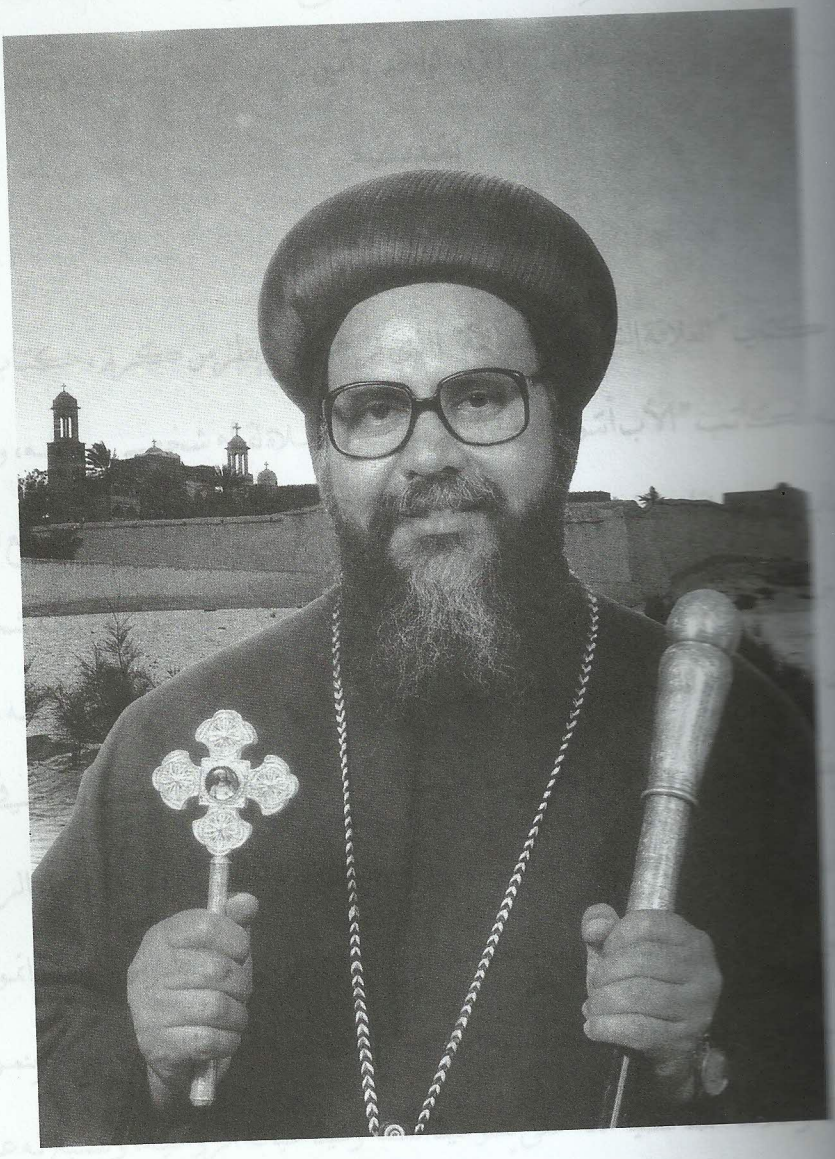

نيافة الحَبر الجليل الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السيدة العذراء (السريان) العامر

بِاسم الآب والابن والروح القدس،

الإله الواحد . آمين .

تقديم

كتاب " العلاقة الشخصية مع الله " الذي ترجمه الأخ بطرس كرم، كتاب قيّم بيّن فيه الكاتب " الأب أنتوني كونيارس " أن الصلاة لقاء شخصي مع الله، وقراءة الكتاب المقدس لقاء شخصي مع الله، والتناول من الأسرار المقدسة لقاء شخصي مع الله .

فيجب على كُلّ مسيحي أن يتعرّف على الله شخصياً، وتكون له علاقة شخصية ولقاءات شخصية مع الله، ويتذوّق الله، ويَنظر إليه، ويَنتظره، ويترجّى مراحمه ومعونته دائماً، كما يقول المُرنِّم : " ذُوقوا وانظروا ما أطيب الرَّبّ " (مز ٣٤ : ٨)، كما يقول في نفس المزمور : " جميع الذين نظروا إليه استنارُوا ووجوههم لم تخجل " (مز ٣٤ : ٥)، الرسول يعقوب يقول : " اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم " (يع ٤ : ٨)، والرسول بطرس يقول: " انموا في النعمة وفي معرفة ربنا ومُخلّصنا يسوع المسيح " (٢بط ٣ : ١٨)، فالمؤمن محتاج أن ينمو في معرفته لله وعلاقته الشخصية معه حتى ينمو في النعمة وفي حياته الروحية، وتصبح له علاقة حميمية معه فيها مشاعر حب ودالة " نحن نُحبُّه لأنَّه هو أحبَّنا أوّلاً " (١يو ٤ : ١٩) .

نشكر الأخ بطرس كرم على ترجمة هذا الكتاب، ليكون سبب بركة لكل من يقرأه، ويحاول أن يتعرّف ويتقرّب أكثر إلى شخص الرب يسوع الفادي الحبيب،

ويتعمَّق في معرفته باستعمال وسائط النعمة المتنوعة حتى ينمو في النعمة وفي معرفة ربنا يسوع المسيح، ويتقدَّم في حياته الروحية حتى يصل إلى الإنسان الكامل، إلى قياس قامة ملء المسيح (أفسس ٤ : ١٣).

بشفاعة أمنا العذراء القديسة الطاهرة مريم وصلوات أبينا المُكرَّم

البابا الأنبا شنوده الثالث

والله يُبارِك في كل عمل لمجد اسمه القدوس. آمين.

استشهاد القديس الأنبا موسى الأسود.

٢٤ بؤونه ١٧٢٠ ش

١ يوليو ٢٠٠٤ م

الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس

دير السيدة العذراء (السريان) العامر

الباب الأول

إحساس شخصي بالارتباط بالله

"تعال يا نوري . . . وأنر ظلمتي

تعال يا حياتي . . . وأحيني من الموت

تعال يا طبيبي . . . واشفي جراحاتي

تعال يا شعلة الحب الإلهي . . . واحرق أشواك خطاياي

وأشعل قلبي بلهيب حبك.

تعال يا إلهي . . . واجلس على عرش قلبي . . . واملك هناك

لأنك أنت وحدك . . . إلهي وربي".

القديس ديميتري أسقف روستوف (القرن١٧)

St.Dimitrii of Rostov,17th Century

إحساس شخصي بالارتباط بالله:

توماس م. جانون [1] - كاهن ومُتخصِّص في علم الاجتماع - امتحن ركاكة الاعتقاد بأنَّ مُجرَّد ذهاب الطفل كثيراً للكنيسة يُجنِّبه الدخول فى مشاكل، فقام بعمل بحث على ١٥٠ طفل مُراهق كاثوليكي من مركز لاحتجاز الأحداث بكووك كونتي Cook County، وكانت نتائجه مُذهلة فقد اكتشف أن أغلبهم بكل المقاييس متدينون.

وجد أن ٥٣% منهم يواظبون على القداس مرة أو مرتين شهرياً، و٢٧% منهم يواظبون عليه كل أحد، وأنهم لم ينشأوا فى الكنيسة فقط، بل يؤمن معظمهم بوجود بالله (فقط ١٩% ينكرون وجوده)، ومعظمهم كثيراً ما صلى، وأنهم على دراية بتعاليم الكنيسة الكاثوليكية بالنسبة للسرقة وممارسة الجنس وحرب العصابات، ووافق أغلبهم على أن هذه التعاليم صحيحة.

بالرغم من التزامهم الديني الواضح، فإن الفجوة بين ما فعل هؤلاء وما قالوه كانت هائلة.. **لماذا؟**

هنا كان إكتشافه المذهل، فقد اكتشف أن فى المدارس التابعة للكنيسة وفي العظات، تعلم هؤلاء الأطفال مُعتقدات دينية وقبلوها ذهنياً كحقيقة، إلا أنهم كانوا يفتقرون تماماً في خبرتهم الدينية إلى وجود أي نوع من الإحساس بالارتباط بالله، فلم يعتقد أي منهم أن الله يهتم به شخصياً، والكثير منهم لم يستطع حتى أن يتخيل نفسه أهلاً لاهتمام الله أو محبته!

من هذا البحث نستنتج أن الإيمان الديني يؤتي بتأثيره الأقوى عندما تكون هناك علاقة شخصية محسوسة بين الفرد والله، وإن تغيبت هذه العلاقة فالإيمان الديني يصبح غير فعَّال لمثل هذه الشلة المُراهقة.

أن كثيراً من الصغار والكبار لم يحظوا بمقابلة شخصية واضحة مع شخص الرب يسوع، فكل ما يختبروه فى الكنيسة نظام وتهذيب. فهم يتعلمون حفظ الوصايا لكن ليس الإله المُحب الذي وراء الوصايا.

أن ما يحتاجونه بشدة هو إستعلان يسوع المسيح لهم كإله محب ورؤوف، الإله المُهتم شخصياً بكل واحد منهم، إله القديس بولس الذي عبَّر عنه قائلاً: ***" الذي أحبني***

---

[1] (Thomas M Gannon of Loyola University)

وأسلم نفسه لأجلي" (غلاطية ٢ : ٢٠)، وإله أغسطينوس الذي قال عنه: **عجباً، إله يحبنا وكأنه لا يوجد غير شخص واحد فقط منا في الكون.**

فبدلاً من محاولة حشر الوصايا في عقول الشباب، ومحاولة جرهم إلى الكنيسة، نحتاج أولاً أن نقدم لهم شخص يسوع لكي ما يحبوه - مار إسحق حدثنا عن كيف يسكر الإنسان بمحبة يسوع - لو حدث هذا، فإن الشباب سوف يرغب في الذهاب إلى الكنيسة، وحفظ الوصايا سيكون بالنسبة لهم أمراً مُفرحاً وليس عبئاً.

الوصايا العشر:

يجب أن ننتبه أن الوصايا العشر المكتوبة بإصبع الله جاءت في صيغة المُفرَد:

" لا يكن لك آلهة أخرى أمامي ... لا تنطق بِاسم الرب إلهك باطلاً ...

احفظ يوم السبت ... أكرم أباك وأمك ... لا تقتل ... الخ" (تث ٥).

كل وصية يُقدِّمها الله لكل واحد مِنا بصفة شخصية، فهو يُقدّر كل واحد منا بخطاب شخصي. الله لا يُعطي هذه الوصايا لجمهور الإنسانية بل هو يُخاطبك أنت وليس أحد غيرك، بأسلوب مُحدَّد وشخصي.

" أنت يا فلان لا يكون لك آلهة أخرى أمامي ... يا فلان أكرم أباك وأمك ... "

إننا نحتاج أن ندرك هذا، لأن الوصايا العشر قد تبدو للناس باردة وغير شخصية، ويرجع ذلك إلى عدم سماع كلمة التخاطب الشخصي التي يوجهها الله لنا، فنحن لا ننتبه للرب الغالي الذي يُقدِّم الوصايا، وكل ما نسمعه هو رسالة الناموس الجافة. ولذلك نحن نحتاج أولاً أن نأتي إلى شخص الرب يسوع، وأن نُقبِل على معرفته، نحتاج أن نقع في محبته.

ربي وسيد حياتي:

أحد القسوس يتكلم عن نشأته في كنيسته الأرثوذكسية فيقول:

" مثل كثير من الذين نشأوا وتربوا في داخل معتقد مسيحي مُحدَّد، كشاب صغير لم يكن لي فهم قوي لما يعنيه أن أكون تابعاً ليسوع المسيح، فبالإضافة إلى الحواجز المألوفة والأمور المُحيِّرة التي تواجه أي شاب صغير من مسيحيي القرن العشرين، إلا أني واجهت أيضاً عائق اللغة الخطير، فالكنيسة الأرثوذكسية التي

شاركت فيها كطفل كانت تعقِد خدماتها بالكامل باللغة اليونانية، بينما كنت أنا - كمعظم الأمريكان - أتكلم الإنجليزية فقط.

أثناء دراستي الثانوية واظبت على مدارس الأحد، وشاركت كشماس مذبح، ورنمت فى الكورال. كل هذه الخبرة أعطتني تقارباً من تراث الأرثوذكسية الشرقية. ولكن للأسف الشيء الوحيد الذي لم تعطني إيَّاه، كان هو علاقة حميمية مفهومة مع المسيح يسوع. أنا لا أقول أنه كان غائباً عن حياتي أو أنني لم أعرف عنه. لكن مع ذلك لم يكن لي اتصال حميم أو علاقة معه، (**كرب وسيد حياتي**) بحسب كلمات القديس مارافرآم ".

المدارس التابعة للكنسية:

الأب أندرو جريلي (Fr.Andrew Greeley)[٢] اكتشف أن سلوك الأبناء الذين يدرسون في مدارس تابعة للكنيسة، وأولئك الذين لا يدرسون بها هو واحد فى التحليل النهائي. حضور المدارس التابعة للكنيسة ليس ضماناً لعدم ترك الطفل الكنيسة. واكتشف أنَّ ما يُغيِّر الشخص حقاً ليس هو الانتظام في مدارس التربية الكنسية بل حقيقة وجود شخص ما فى حياة الطفل يحبه شخصياً - محبة غير مشروطة - وهذا الشخص له علاقة شخصية مع الله.

هنا إذن، نجد أمامنا هذا التحدي الكبير: أن نجعل إيماننا المسيحي الأرثوذكسي شخصياً لأنفسنا أولاً، ثم بعد ذلك لصغارنا.

الأب هنري نوون Fr.Henri Nouwen تحدَّث مرة لمجموعة من الخدام قائلاً:

" الخدمة هيَ أقل الأمور أهمية، فأنت لا تقدر أن تتوقف عن الخدمة طالما أنك في شركة حقيقية مع الله. كثيراً ما يتساءل الناس: كيف يمكنني أن أساعد الناس؟ ... كيف أساعد الشباب لكي يأتي للمسيح؟ .... كيف أعظ جيداً؟ ... لكن كل هذه أمور غير جوهرية.

---

[٢] أب كاثوليكي متخصص في علم الاجتماع .

إن كنت تلتهب بمحبة الرب يسوع فلا تقلق، لأنَّ كل مَن هو حولك سيلمس هذا فيك وسوف يقول: أنا أريد أن أقترب أكثر من هذا الشخص الذي إلى هذا الحد ممتلئ بالله ".

إن كان إيمانك شخصي فهو سيكون حقيقة مُعدي.

حقيقة مُعدي:

عندما نُعَلِم أطفالنا كأباء، ينبغي أن لا نُعلِمهم الحقائق والتقليد فقط، بل ينبغي أن نشركهم معنا فيما يعنيه إيماننا بالمسيح لنا شخصياً. أحياناً نقضي وقتاً طويلاً جداً نُعَلِم عن المسيح وغالباً ما يفوتنا الهدف الأكثر أهمية وهو مساعدة صغارنا أن يعرفوا المسيح شخصياً. هناك فرق شاسع بين التعلم عن شخص ومعرفة الشخص نفسه والتقابل الفعلي معه.

كثير من الشباب يتركون الكنيسة لأنهم يبحثون عن لقاء فعلي وشخصي مع الله، لم يجدوه في بيوتهم وكنائسهم. دعنا نستمع لأحدهم وهو يتحدث: " كل ما حصلت عليه في أي كنيسة ذهبت إليها: محاضرات أو عظات عن الله، عن السلام الذي يفوق كل عقل. كلام ... كلام ... كلام! لم أشعر به أبداً. كان كلام نظري، وغير مباشر ودائماً لحساب شخص آخر، كان مُملاً ومُضجراً، كنت أجلس أو أجثو أو أقف، أنصت أو أقرأ الصلوات. ولكنها بدت بلا حياة. كانت مثل قراءة الملصق بدلاً من أكل المحتويات. ولكن في مذهبي الجديد (يقصد أحد عبادات الشرق الأقصى) أنا اختبرت بنفسي ولست فى حاجة لرأي شخص آخر عنها ".

أظن أنه يوجد الكثير لنتعلمه من التصريح السابق، فنحن نحتاج أن نشارك أطفالنا إيماننا المسيحي الأرثوذكسي بطريقة شخصية جداً حتى ما يختبروا بأنفسهم حقيقة قوة الله وحضوره ومحبته فى حياتهم.

على سبيل المثال، الذين يتنصرون يفعلون ذلك لا لأنهم خسروا مجادلة مع واعظ مسيحي بل لأن كان لهم صديق مسيحي تأثروا به. **فاللقاء الشخصي هو الذي يجذب، اللقاء الشخصي هو الذي يُخلِص.**

الباب الثاني

إله إبراهيم وإسحق ويعقوب

"ربي وإلهي . . اسلبني من ذاتي ودعني أتسمى إليك كلية

ربي وإلهي . . أنزل كل شيء يفصلني عنك

ربي وإلهي . . امنحني كل شيء يقربني منك"

إله إبراهيم وإسحق ويعقوب:

عقب لقاء المُبشِّر الإنجيلي بيللي جراهام Billy Graham مع البطريرك ألكسي الثاني Patriarch Alexei حول إرساليته في موسكو أدلى بالتصريح التالي:

" الكنيسة الأرثوذكسية الروسية غير سعيدة بتحول الشعب عن الأرثوذكسية، لكنهم ليس عندهم مانع من الوعظ. الشيء المُفتقد في بعض الكنائس الأرثوذكسية والتعليم هو العلاقة الشخصية اليومية مع المسيح. هذا ما نود أن نفعله، ليس حَمل الشعب خارج الكنيسة الأرثوذكسية بل جَلب الانتعاش لها ".

دعني أُسلط الضوء على هذه الكلمات: " الشيء المُفتقد في بعض الكنائس الأرثوذكسية والتعليم هو **العلاقة الشخصية اليومية مع المسيح** ". طبعاً نجد نفس المشكلة في كنائس كثيرة غير أرثوذكسية. كثير من الناس تعرف عن يسوع بل وقد تُصرِّح بإيمانها به، لكن ينقصها علاقة شخصية يومية معه.

كيف يستطيع أي إنسان أن يعرف شخص ما بدون علاقة (أنا ـ أنت) مع هذا الشخص؟

أي شيء ليكون حقيقي يجب أن يكون شخصي، وإن لم يصبح شخصي فلن يكون حقيقي. هذا صحيح بصورة خاصة في علاقتنا بالمسيح.

إذن ما هيَ العلاقة الشخصية مع المسيح وكيف نُحققها؟

الله شخص:

أولاً وقبل كل شيء، يجب أن ندرك أن الله شخص. على سبيل المثال، الروح القدس ليس " نفخة إلهية " ـ كما وصفه مرة شخص ما ـ هو ليس " شيء ". الروح القدس هو أقنوم شخصي معه نستطيع أن ننشئ علاقة (أنا ـ أنت) شخصية. كلمة " أقنوم شخصي " عندما تُستعمل للثالوث، يجب أن تساعدنا على فهم أننا نستطيع مع كل أقنوم من أقانيم الثالوث، أن نتحدَّث، وأن نُصلي، وأن نُحب، وأن نُمجِّد، وأن ننشئ معه علاقة شخصية يومية.

اللـه: شخص أم شيء؟:

البعض عندما يستعمل كلمة (اللـه) يعنون بها شيء ما مِثل " أصل الخليقة " (Whitehead) أو " قـوة الحيـاة " (Bergson) أو " القيمـة العليـا "، وكـأن اللـه لـيس شخصـي بـل غيـر شخصـي. هـم يتجنبـون فكـرة أن اللـه شـخص ويجعلونـه شـيء (not He but it).

مـن ناحيـة أخـرى، عنـدما يتحـدث الكتـاب المقـدس عـن اللـه يسـتعمل تصـنيفاً شخصياً. اللـه يُصـوَّر كشخص نستطيع أن نتصل به. شخص يُخاطبنا ونستطيع نحن أن نخاطبه.

عنـدما نقـول أن اللـه " شـخص " فلسـنا نعنـي بـذلك أنـه مثلنـا لـه أذرع وأرجل ... الخ، بل نحن نقصد أن مهما يكن اللـه - وهو أعظم كثيراً عن ما يمكننا أن نتصور - إلا أنه شخص نستطيع معه أن ننشئ علاقة شخصية، وبما أننا لا نقدر أن نتصل مع أحجار لكن فقط مع أشخاص، لذلك نقول أن اللـه شخص.

إبراهيم واللـه:

قبل ميلاد المسيح بألف وتسعمائة عام تقريباً، أظهر اللـه ذاته لشخص مُحدد هو إبراهيم. اللـه تكلم معه وإبراهيم أجاب اللـه كما نجيب نحن أي إنسان بشري.

أحد اللاهوتيين الأرثوذكس (Christos Yannaras) كتب:

" معرفة اللـه التي نتجت عن لقاء إبراهيم الشخصي مع اللـه، ليس لها أي علاقة ببراهين منطقية، بل كانت علاقة اختبارية فقط، وكمثل أي علاقة حقيقية كانت مُعتمدة فقط على الإيمان أو الثقة الذي ينمو بين اثنين بينهم علاقة. وثق إبراهيم في اللـه إلى الحد الذي كان فيه مُستعداً أن يذبح الابن الذي ولدته له سارة في شيخوختها. اللـه ليس تصوُّر نظري أو قوة غير مشخصة. عندما يتكلم اليهود عن اللـه يقولون: (إله آبائنا) ... (إله إبراهيم وإسحق ويعقوب). شخص حقيقي عرفه آباؤهم وترافقوا معه " [٣].

---

[3] "Elements of Faith " C. Yannaras T&T Ltd Edinburg 1991

إن كان الله هو إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، فهو إذن إله أشخاص وليس إله قيم ومفاهيم مُجرَّدة. الله ليس هو " أساس كل الوجود " غيرالمشخص. إبراهيم وإسحق ويعقوب ليسوا مفاهيم مُجرَّدة بل هم أشخاص، وحياتهم باقية في كل مَن ينضم لعهد إبراهيم - الذي يتحقق الآن في العهد الجديد بالمعمودية - في الكنيسة (إسرائيل الجديد).

كل شخص مُعمَّد مَدعو أن يحيا حياة إبراهيم، حياة الإيمان الكامل والثقة في الله، حياة شخص له علاقة شخصية مع الله كما فعل إبراهيم. بهذا المعنى إبراهيم يستمر إلى الأبد. نحن إبراهيم وإسحق ويعقوب، شعب الله الذي يعرف الله شخصياً ويحبه ويثق فيه ويتبعه.

دعني أقول هنا أنه إن كان الله ممكن أن يكون " إله يعقوب " الذي كان واحداً من أكثر الناس خداعاً، فهناك إذن أمل حقيقي لك ولي. إن كان الله ممكن أن يكون إله يعقوب فبالتأكيد ممكن أن يكون إلهي أنا أيضاً، فأنا أيضاً خاطئ.

هكذا بما أن كل منا شخص يواجه إله شخصي، فبالتالي علاقتنا معه يجب أن تكون شخصية.

وجهاً لوجه:

لكي ما نرى إلى أي مدى علاقتنا بالله ممكن أن تكون شخصية لنقرأ في (خروج ٣٣ : ١١):

- ***" ويُكلِم الرب موسى وجهاً لوجه، كما يُكلِم الرجل صاحبه ".***

وفي (خروج ٦ : ٧) نسمع الله يُكلِم شعبه الإسرائيلي شخصياً قائلاً:

- ***" وأتخذكم لي شعباً، وأكون لكم إلهاً ".***

وفي (تثنية ٣٤ : ١٠) نلمح لمحة أخرى لما يمكنه أن تكون علاقتنا بالله شخصية:

- ***" ولم يَقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه ".***

تعليقاً على هذه الاختبارات مع الله في العهد القديم كتب د. كريستوس: " قد رأينا منذ البداية أن اختبار بطاركة إسرائيل أكد على الطابع الشخصي للاهوت.

هم يتقابلون مع اللـه " شخصاً لشخص "، يتكلمون معه وجهاً لوجه. إله إسرائيل هو إله حق، أي حقاً موجود، إله حي، نظراً لأنه إله العلاقة الشخصية المباشرة "[٤].

لكن الآن، مُزخر لنا نحن المسيحيين علاقة مع الرب، أقرب حتى من التي كانت لإبراهيم أو لموسى.

التلميذ الحبيب يوحنا يكتب عن كل مسيحي مُعمَّد يتبع يسوع بالحق: ***" ... أنه إذا أُظهِرَ (المسيح) نكون مثله، لأننا سنراه كما هو "*** (١ يو ٣ : ٢)، ففي يومٍ ما بكل تأكيد - كما أن الشروق يتبع الغروب - الرب يسوع سوف يرجع، وحينئذٍ سنراه (أنا وأنت بنفس أعيننا هذه) وجهاً لوجه. لحظة التعرُّف هذه سوف تُغيِّرنا إلى صورته المجيدة، ولأنَّ هذا المُستقبل المجيد ينتظرنا، نحن مدعوون أن نُفكر مَلياً بتدقيق كيف يجب أن نعيش هنا والآن، لأن ***" كلُّ مَن عندهُ هذا الرجاء به، يُطهِّر نفسه كما هو طاهِرٌ "*** كما أكمل القديس يوحنا (١ يو ٣ : ٣).

إلى هذا النوع من العلاقة مع اللـه - وجهاً لوجه - نحن مدعوين.

يُكمل د. كريستوس يانارس (Christos Yannaras) قائلاً:

" الذي يعطينا هنا والآن تلك الحياة الوفيرة وعدنا أيضاً بالحياة في ملؤها، بتبني مُباشر وعلاقة - وجهاً لوجه - معه. كيف لهذه العلاقة الجديدة معه أن تعمل؟ بواسطة أي وظائف؟ لا أعلم. أنا فقط أعتمد عليها. ما أعلمه - من إعلان الحق الذي منحه لنا - أن هذه العلاقة ستكون دائماً شخصية، وانني سأكون أمامه كما أنا، كما يعرفني اللـه و يحبني. سأكون باسمي وبإمكانية التحادث معه مثل موسى وإيليا على جبل تابور. هذا كاف، ربما أكثر من كاف "[٥].

دعني أشارككم هذه الفقرة المُختصرة من تقرير قُدِّم إلى رئيس الأساقفة باكوفوس في عام ١٩٩٠ عن مُستقبل الكنيسة. حاول وأنت تقرأ أن تُحصي كم مرة كلمة " شخصي " أُستخدمت:

---

[٤] نفس المرجع السابق. .

[٥] نفس المرجع السابق.

" لا يمكن تحقيق الملكوت إلا باستجابة **شخصية** وإمتلاك **شخصي** لخلاص اللـه وفداءه ونعمته المُطهِّرة. هذا الهدف يتحقق بالآتي: إيمان والتزام **شخصي**، اشتراك **شخصي** واعي في القداس والعبادة والصلاة، طاعة **شخصية** لمشيئة اللـه، نمو **شخصي** في المحبة، تطور **شخصي** لصورة اللـه ومثاله في داخل كل منا نحو شبه المسيح ".

باب يجب الدخول منه:

إن كان يجب أن تكون علاقتنا بالرب يسوع حقيقية فيجب أن تكون شخصية، وكيف تكون غير ذلك؟! .

يسوع محبة ... يجب أن نُحبه كما يحبنا.

هو الحق ... يجب أن نقبل حقه ومن خلال الطاعة نختبره.

هو الحياة ... يجب أن نحياه.

هو الباب ... يجب أن ندخل من خلاله.

هو الطريق ... يجب أن نتبعه.

هو كلمة اللـه الذي يُكلمنا ... يجب أن نسمع له ونطيعه.

نحن لا نأتي إلى معرفة اللـه عن طريق تكديس المعلومات عنه من الكتب لكن بمعرفته شخصياً، بمحبته وطاعته وتبعيته والحديث معه في الصلاة.

القديس يوحنا الدرجي يتكلم عن محبتنا للـه قائلاً: " **مُباركٌ هو الشخص الذي شوقه نحو اللـه صار مثل ولع الحبيب بمحبوبته** ".

هناك قصة قِيلت عن الخطيب الأمريكي المشهور ويليـام بريـان William Jennings Bryan. عندما كان يُرسَم له صورة وجه، سأله الرسام: لماذا تُغطِ أذنك بشعرك؟ فأجاب: هناك رومانسية متصلة بذلك، فعندما كنت أتودد لمدام بريان اعترضت على كيفية بروز أذني، فلكي أسعدها أطلت شعري لكي ما يُغطي أذني. فقال له الرسام: لكن هذا حدث منذ سنين طويلة مضت، فلماذا لا تقصه الآن. فغمز له بريان قائلاً: لأن الرومانسية مازالت مستمرة.

هل هذا ممكن أن يُقال عني وعنك في علاقتنا الشخصية مع المسيح؟.

إنجيل اللقاءات الشخصية مع يسوع:

الأب رايموند براون (Fr.Raymond Brown) ذَكرَ أن كل إنجيل يوحنا يعتبر إنجيل لقاءات شخصية مع يسوع. يسوع يقابل أناساً عديدين، واحداً فواحداً: نيقوديموس، المرأة السامرية على البئر، المُخلع في بيت حسدا، المولود أعمى، مريم ومرثا وحتى بيلاطس. واحداً فواحداً يدخل إلى مسرح أحداث إنجيل يوحنا ليقابل يسوع نور العالم شخصياً. وفي فعلهم هذا، يحكم كل واحد على نفسه إن كان سيستمر في الاقتراب من النور أو سيرجع مفضلاً الظلمة.

أليس هذا ما يحدث معنا؟ واحداً فواحداً نقابل في ظلمة هذا العالم الرب يسوع النور الحقيقي. وبهذا اللقاء الشخصي مع النور يتقرَّر نصيبنا الأبدي، سواء نقترب أكثر إلى النور أو نرجع إلى الظلمة.

جون أوكسنهام (John Oxenham) كتب قصيدة جميلة تُعبِّر عن الجانب الشخصي لإيماننا المسيحي:

ليس بماذا أؤمن، بل بمَن !

الذي يَمشي بجانبي في الظلام.

الذي يُشاركني في الحِمل المُتعب.

الذي في كل طريق مُعتم يُنير.

الذي يوصّيني بالنظر إلى ما وراء القبر.

إلى الأبدية الممتدة بالحياة؟.

ليس بماذا أؤمن بل بمَن!

ليس بماذا بل بمَن!

أنا - أنت:

المطران أنتوني (Metropolitan Antonie of Transylvania) يكتب:

" عَرَّفَ اللـه نفسه قائلاً: ***"أنا هو مَن هو"*** (خر ٣ : ١٤)[٦] "I am who I am".

هذا التعريف يختصر جميع صفات اللـه إلى الأكثر أساسية، إلى خواص اللـه

---

[٦] بحسب ترجمة الآباء اليسوعيين (سنة ١٩٨٠).

الكيانية. هذه الخواص هيَ الوجود ... الكينونة ... امتلاك الحياة، في مقابل غير موجود ... غير كائن ... عدم. نجد هنا صفة " الكائن " في مقابل العدم.

نُلاحظ في الأيقونة الأرثوذكسية لصورة المسيح يُشير الرسامون لاسمه وعنوانه بكتابة هذا التعريف المُختصر على هالته: " Ο ων = He who is= الكائن. من هذا الاسم المُقدَّس أو الخاصية، يشتق كل اسم آخر أو خاصية، وبدونه كل اسم آخر ليس له معنى ".

" (الكائن) ـ بهذا التعريف - هو شخص، يُفكر ويشعر، يحب ويعمل، شخصية كاملة تقدر أن تنشئ علاقات مع أشخاص آخرين (كما أن " أنا " له علاقة مع " أنت ") (Martin Buber)"[٧].

مارتن بوبر (Martin Buber) سيظل دائماً معروفاً بأنه الشخص الذي وضح الإختلاف بين مستويين للعلاقة مع الآخر:

المستوى الأول: مستوى (أنا ـ أنت) (I - You) وفيه تكون العلاقة شخصية أي تكون مع الآخر باعتباره شخصاً. الأمر الذي يعني الاتصال به بكل الكيان، والتجاوب معه بكل مكونات الشخصية ليكون هناك تلاقي حقيقي وعلاقة تبادلية، تضع النفس في توافق وانسجام مع الحياة.

المستوى الثاني: مستوى (أنا ـ شيء) (I - It) أي معاملة الآخر ليس كشخص، بل كشيء يُستخدم ثم يُطرح جانباً.

فنحن إمَّا أن نُقابل الشخص الآخر كشخص (أنت) وإليه نستجيب بكامل شخصيتنا، أو نقابله كشيء يُستعمل وهذا هو مستوى علاقة (أنا- شيء)، أمَّا عن مستوى علاقة (أنا ـ أنت) فهو شخصي بشكل متميز.

فلاديمير لوسكي (Vladimir Lossky) قال: " الشخص يُصلي ليكون عنده الجرأة والبساطة ليقول لله: [أنت] "[٨].

في الصلاة الربانية الرب يسوع أعطانا الشجاعة لنخاطب الله: (أبانا) ... بابا ... آبا ... دادي.

---

[7] "Jesus Christ–The life of the world" Ed.Ion Bria . WCC Publications 1982

[8] "Orthodox Theology "SVS Press 1978

الحياة الأبدية هيَ الاتصال بالله كشخص ... وضَّح هذه الفكرة الأسقف جراسيموس عندما كتب: " الإيمان ليس معرفة بل مقابلة، هذا اللقاء الشخصي مع الإله الأبدي كما يرى في المسيح، سيكون دائماً نوع المعرفة الأسمى والأصدق التي يمكن لإنسان أن يبلغها. هذه المعرفة هيَ حياة أبدية (يو ١٧ : ٣) "[٩].

أن تعرف الله يعني أن تتصل به شخصياً.

المطران نيكول كورنينو (Metropolitan Nicolae Corneanu) يكتب: " كل (أنا) يشتاق إلى آخر، إلى (أنت)، إلى (نحن)، كل (أنا) يشتاق أخيراً لله. هذا الشعور الداخلي بالعُزلة، منطقياً لا يمكن أن يُشبَع بالحب الإنساني لأنه متأصِّل في إشتياق الإنسان لله، فهو في الحقيقة شوق الإنسان الحزين للأصل المُقدَّس الذي منه نشأ وإليه سوف يرجع ".

الأب صفروني (Fr.Sophrony) يُعلق على كلمة (أنا) في إعلان الله ذاته لموسى (أنا الكائن) وفي إعلان الرب ذاته لبولس في طريق دمشق (أنا يسوع الذي أنت تضطهده) فيكتب:

"عظيمة هيَ كلمة (أنا). هيَ تُميِّز الشخص. الشخص فقط هو الذي حقاً يحيا. لأن الله يقول (أنا) فالإنسان يستطيع أن يخاطبه (أنت). في كلمة (أنا) التي تُميِّز البشر وفي كلمة (أنت) التي تُميِّز الله يوجد كل الوجود، هذا العالم والله. خارج عن الله لا يوجد شيء. فلو أنا فيه إذن أنا موجود، ولو أنا خارج عنه أنا مائت " [١٠].

في علم اللاهوت الأرثوذكسي نتكلم كثيراً عن جوهر الله غير المُدرك. نضع تعابير تنزيهية عن الله. نحن نقول أن الله غير مرئي، غير موصوف، غير زمني، غير محدود، غير مادي ... الخ. لكن علم اللاهوت أيضاً يؤكد أن هذا الإله المُنزَّه غير المُدرك أراد أن يُعلِن لنا ذاته.

---

[9] " Orthodox faith & Life : Christ in the Gospels" Volume 1. HCO Press 1980.

[10] "Soyrozh" Number59. February,1995.Article by Maxime Egger. "Archimandrite Sophrony:A man for the world

اللـه في إعلان ذاته لنا، لم يعطنا بعض المعلومات المُجرَّدة عن شخصه بل هو أعلن لنا ذاته في شخص الرب يسوع المسيح. هذا يتطلب استجابة شخصية بالحب من جانبنا، ولقاء شخصي، وعلاقة شخصية على مستوى: (أنا - أنت) وليس على مستوى (أنا - شيء).

تعليقاً على هذه الاستجابة التي يتوقَّعها اللـه منا يكتب الأب جورج فلورفسكي (George Florovsky): " ليس فقط فى القديم بل أيضاً في العهد الجديد، نجد أن اللـه يقترب ويظهر للإنسان، ونرى أيضاً الإنسان يتقابل مع اللـه ويصغي بعناية وانتباه إلى **كلمته**، بل أكثر من ذلك يستجيب إلى كلماته. فنحن نسمع فى الكتاب المقدس أيضاً صوت الإنسان يجيب اللـه في كلمات الصلاة أو الشكر أو التسبيح. ويكفي أن نذكر في هذا المجال سفر المزامير. واللـه يريد ويتوقع ويطلب هذه الاستجابة. اللـه يريد أن الإنسان لا يسمع كلماته فقط بل أيضاً يستجيب لها. **اللـه يريد أن يجذب الإنسان إلى محادثة** "[11].

[11] "Creation and Redemption " Nordland Press 1976.

الباب الثالث

اللـه يَجَـب أن يُختَبَر

"الإيمان هو علاقة مع الله

الإعتقاد هو علاقة مع رأي أو مذهب"

ابراهام جوشوا هسكل

Abraham Joshua Heschel

اللـه يجب أن يُختـَبَر:

اللـه لا يمكن أن يُعبَّر عنه بالتمام. في الحقيقة إله يُعبَّر عنه تماماً ليس إلهاً. اللـه غير محدود فكيف توصفه كلمات، لكن من المُمكن أن يُختـَبر. اللـه عبَّر عن ذاته مرة في شخص الرب يسوع. والقصد من هذا التعبير هو أن يكون ممكناً أن يُختبر شخصياً فى حياة أولاده كعمانوئيل (اللـه معنا).

ما لم يصبح اللـه شخصياً لنا فلن يكون حقيقياً لنا. وعندما يصبح شخصياً لنا **" نصير سكارى بحبه "** بحسب تعبير مار إسحق.

قال أفلاطون من شأن العمل اليدوي ومجَّد العمل العقلي، ففى " الجمهورية " (Republic) يضع الفلاسفة فى أسمى مرتبة، وكثيرون حذوا حذوه، مُصرِّين على أن العمل العقلي فقط هو ما يستحق الاعتبار، إلى أن جاء منهج التجربة وأظهر قيمة العمل اليدوي فى المعامل. ثم جاء بعد ذلك جون دووي John Dewey بفلسفة " المذهب العملي " (Pragmatism) حيث أثبت قيمة الخبرة المُباشرة. فهو اعتقد أن أفضل نظام للتعليم يعتمد على الخبرة المُباشرة أي أن الشخص عليه أن يختبر الحقيقة ويتلامس مع الحقائق بنفسه. الاتجاهات الحديثة فى التعليم أفاضت أكثر في مفهوم الخبرة. الإنسان يختبر حقيقة ما، من أجل أن يتعلم هذه الحقيقة حضورياً واختبارياً.

الخبرة ليست مقصورة على الخبرة الفردية، هناك أيضاً الخبرة الجماعية. فى الكنيسة الأرثوذكسية عندنا التقليد المُقدس وهو الخبرة الجماعية للكنيسة على مدى القرون تحت إرشاد الروح القدس.

دعوة الفكر الحديث للإنسان أن يدخل فى خبرة لكي يتعلم، وهذه هيَ دعوة اللـه منذ العصور القديمة: ***" ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب "***.

تسابيح الكنيسة شخصية جداً وحاضرة: " اليوم المسيح وُلِدَ ... اليوم جسده مُعلق على الصليب... اليوم... اليوم... "، ما هذه إلا دعوة لاختبار عيد الميلاد، الجمعة العظيمة، القيامة، الصعود، العنصرة. نختبر كل حدث شخصياً كأنه يتم الآن - لي اليوم.

السنة الليتورجية: مُقابلة حيَّة وشخصية مع الرب يسوع:

إن السنة الليتورجية ليس فقط تكرر أحداث الخلاص العظيمة فى حياة يسوع، بل تضعنا أيضاً فى كل حدث بطريقة شخصية جداً. إن مقابلة تأخذ مكاناً في الحاضر بيننا وبين المسيح فى أحداث ميلاده وصلبه وقيامته ... الخ.

هذه الأحداث المُقدَّسة حاضرة سرائرياً فى الكنيسة هنا ... والآن.

نحن نُعِيد دخول كل حدث، وبطريقة ما يصير فريداً وعملاً جديداً مُنعشاً لخلاصنا اليوم.

فالسنة الليتورجية - بعيداً من أن تكون تصوير بارد وغير حي للماضي - هيَ مقابلة حية شخصية مع الرب يسوع ... اليوم.

اليوم يأتي ليُولد فى مذود نفسي ونفسك ليعطينا حياة جديدة.

اليوم يُقدِّم لي جسده ودمه الثمين لخلاصي.

اليوم هو يُعلق على الصليب من أجلي.

اليوم هو يقوم وأنا أقوم معه.

اليوم هو يتجلى وأنا أتجلى معه.

اليوم هو يصعد إلى السماء وأنا أصعد معه.

فهذه الكلمة الجميلة - اليوم - هيَ التي تحطم أسوار الماضي والمستقبل وتجعل المسيح: الشخص الحاضر أبدياً، الذي هو ***" أمس واليوم وإلى الأبد "*** (عب ١٣: ٨)

كل عام النتيجة الليتورجية تحيا ثانية، وتجعل الأحداث المُقدسة التي لخلاصنا حاضرة مرة أخرى، حتى ما نكون هناك شخصياً عند حدوثها. الماضي يمتد ليلحق بالحاضر. **أعمال الله لشعبه لا تدفن فى الماضي، بل تحيا في الحاضر. التاريخ لا يستنفذ النعمة. الله حاضر عبر القرون. هو لا ينقطع أبداً عن تكميل العمل الذي بدأه.**

الإيمان هو مقابلة شخصية:

الإيمان هو ليس مجرد تصديق عقلي أو طاعة عمياء بل هو ولاء شخص لشخص. الإيمان هو علاقة، مقابلة، لقاء شخصي مع الرب يسوع الحي. الإيمان هو علاقة حيّة مُخلصة مع يسوع - الذي هو ربي وإلهي.

إبراهيم تكلم مع الله شخص لشخص كصديق لصديق، وموسى أيضاً فعل كذلك (وجهاً لوجه)، ونحن أيضاً - عن طريق قوة الروح القدس في جسده الكنيسة - نستطيع أن يكون لنا علاقة ديناميكية شخصية عميقة مع الرب يسوع الكلمة المُتجسِّد، نستطيع أن نختبره كإله المحبة.

نحن نحتاج أن نقبل يسوع كرَبّ ومُخلص لحياتنا، ليس مرة واحدة فقط كما في خبرة البعض (born-again) بل كل يوم، وهذا ما نفعله عندما نعترف به في قانون الإيمان. كل يوم نحتاج أن نؤكد على أن يسوع المسيح هو مُخلصنا ورب حياتنا، وأن آلامه وموته وقيامته لها معنى لنا اليوم، وإن ما علّم وقدَّم في الإنجيل وفي الكنيسة هو لنا لنقبل ونختبر ونطيع اليوم.

سمعان الشيخ والمسيح الطفل:

عندما رأى سمعان الشيخ والدة الإله تحضر الطفل يسوع إلى الهيكل في يومه الأربعين، أدرك بإلهام من الروح القدس أن يسوع هو المسيا، وحمل يسوع على ذراعيه وصلى قائلاً: ***" الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام، لأنَّ عينيَّ قد أبصَرَتا خلاصكَ، الذي أعددته قدَّام وجه جميع الشعوب. نور إعلان للأمم، ومجداً لشعبك إسرائيل "*** (لوقا ٢: ٢٩ - ٣٢).

كتب الأسقف جيراسيموس (Bishop Gerasimos) تعليقاً على هذه الصلاة المشهورة:

" هذه (الصلاة) التي لسمعان تتكرر فى كنيستنا في نهاية كل خدمة مساء، ويُصليها الكاهن سراً في نهاية كل ليتورجية، الكنيسة تريد أن تؤكد لنا أن بذهابنا للكنيسة وعبادتنا قد شاهدنا الرب المُخلص بأعين نفوسنا وتحدثنا معه. وبعد هذا الاختبار ننصرف مملوئين من السلام وفرح الروح. نحن نستطيع أن نَعتبر حضورنا في الكنيسة فشلُ إن لم نختبر هذا الإحساس " [١٢].

تماماً مثل سمعان الذي رأى يسوع وحمله على ذراعيه، نحن أيضاً نستطيع أن نختبر حضوره شخصياً في الصلاة وفي خدمات العبادة في الكنيسة، وعن طريق سر

---

[12] "Orthodoxy : Faith and Life : Christ in the Gospels ." HCO Press 1980

الإفخارستيا نستطيع أن نحمل يسوع ونحتضنه كما فعل سمعان. **إن لم يكن إيماننا شخصياً هكذا فلن يكون حقيقياً.**

ما الذي يفرحك أكثر من مقابلة شخص تحبه؟ ... أن تحيا الحياة في ملئها يعني أنك تتوقع وتتطلع بشوق ... إلى ماذا تتطلع؟ ما الذي تنتظره؟ هل أنت مثل سمعان الشيخ تتطلع وتنتظر وتتوقع وتُصلي من أجل مقابلتك النهائية مع اللـه؟.

إن كنا مثل سمعان فسوف نختبر نحن أيضاً فرحه: " دعني أرحل الآن. لقد شاهدت فى وجه الرب يسوع نور إستعلانه. لقد قابلت الطفل الذي جاء بخلاص اللـه ومحبته وسلامه للعالم. رجاء حياتي تحقق وأنا مُستعد لترك هذا العالم ".

يكتب الأب الكسندر شميمن (Fr. Alexander Schmemann) عن ما يجب عليه أن يكون إيماننا المسيحي فيقول: " الإيمان في طبيعته وجوهره شيء شخصي للغاية، ولذلك هو يكون حياً عندما يُرى في سياق الخبرة الشخصية. فقط عندما يصير أي تعليم كنسي أو عقيدة هو إيماني وخبرتي - وبناءاً عليه مصدر مسرة حياتي - يكون هذا الإيمان قد نبض بالحياة. إذا ما تأملنا الإيمان وكيف يعبر من شخص لشخص آخر، يظهر واضحاً أن الخبرة الشخصية هيَ التي حقاً تُقنِع وتُلهم وتُغيِّر. هذا مهم في المسيحية بصورة خاصة، لأن الإيمان المسيحي في جوهره مقابلة شخصية مع المسيح، فهو قبولاً ليس لهذا أو ذاك من التعليم أو العقيدة عن المسيح، بل قبولاً للمسيح ذاته. أو بتعبير آخر المسيحية شخصية جداً، هذا لا يعني بأي حال أنها فردانية، لأن كل المؤمنين يتقابلون ويتعرَّفون ويُحبون شخص واحد، المسيح الواحد. لكن المسيح يُقدِّم ذاته لكل شخص بحيث يكون إيمان كل شخص في نفس الوقت فريداً " [١٣].

إن لم تنمو الصداقة فستركد وتموت. هكذا أيضاً علاقتنا بيسوع. إن لم نحاول يومياً أن نتقرب منه فعلاقتنا به ستفتر ومن المُحتمل أن نفقد إيماننا به كلية. كمسيحيين يجب علينا أن نُجاهد على الدوام لنزداد فى معرفة المسيح يسوع، أن نعرفه شخصياً كما يعرف شخص شخص آخر. إن اشتكى البعض أن الأرثوذكسية نظرية، فذلك لأنهم فى الواقع لم يعرفوا يسوع بطريقة شخصية.

---

[13] "Celebration of faith " Volume .I.A Schmemann SVS Press Crestwood,NY.

أنا الكرمة وأنتم الأغصان:

الدين للمسيحيين الأرثوذكس هو علاقة مع الله في شخص يسوع، السعادة وكمال القصد من الحياة يعتمد على هذه العلاقة الشخصية مع يسوع، وعلى أساس هذه العلاقة سوف يتقرَّر نصيبنا الأبدي. يسوع هو الباب الذي يقودنا للآب والروح القدس.

ما هو نوع العلاقة التى لنا مع يسوع؟ هل هيَ علاقة تحفظ حية عن طريق الإيمان والصلاة والأسرار وطاعة وصاياه؟ أم هيَ علاقة تركد ميتة بالخطية واللامبالاة؟!.

بخصوص هذه العلاقة قال يسوع: ***" أنا الكرمة وأنتم الأغصان. الذي يثبت فيَّ وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثير، لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً. إن كان أحد لا يثبت فيَّ يُطرح خارجاً كالغصن، فيجف ... إن ثبتم فيَّ وثبت كلامي فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم "*** (يوحنا ١٥ : ٥ - ٨).

من آباء الكنيسة:

القديس سمعان اللاهوتي الجديد (القرن الحاي عشر):

القديس سمعان اللاهوتي الجديد هو أحد الآباء الذين أكدوا على الجانب الشخصي فى الإيمان. هو أكد أن الحياة المسيحية أعمق بكثير من الالتزام بروتين مُعيَّن لقانون، مهما كان هذا القانون صارماً ومهما كان دقة الالتزام به، لتكون الحياة المسيحية ذات معنى يجب أن يكون فيها الاختبار الشخصي لحضور وقوة المسيح الحي. ولكي يُعزز رأيه لم يخف سمعان من أن يستعمل اختباره الشخصي في التجديد والاستنارة. فكان يقول أنه كمثل المرأة التي تعرف يقيناً بوجود طفل بداخلها هكذا كل مسيحي ينبغي أن يعرف ويكون قادراً أن يختبر حضور الله داخله.

بالتأكيد القديس سمعان أثار عاصفة من الجدل في الكنيسة بتحديه التدين الظاهري في زمانه. لكن هذا لم يمنع الكنيسة الأرثوذكسية (اليونانية) من تكريمه وإعطائه لقب: " اللاهوتي الجديد " وبهذا تم وضعه في نفس مرتبة القديس يوحنا (اللاهوتي)، والقديس غريغوريوس (الناطق بالإلهيات) الذين لهما مثل هذا اللقب.

في تعليمه لتلاميذه الرهبان يقول:

" الصلاة هيَ محادثة مباشرة مع الرب. الصلاة تجعل الإنسان حاضراً على الدوام مع الله، والنفس مُتحدة معه والعقل غير مُنفصل عنه كما يقول داود: ***" التصقت نفسي بك "*** (مز ٦٣ : ٨)، و ***" عطشت إليك نفسي "*** (مز ٦٣ : ١)، ***" كما تشتاق الإيَّلُ إلى جداول المياه، هكذا تشتاق نفسي اليك يا الله "*** (مز ٤٢: ١) ***" أحبك يارب، يا قوتي "*** (مز ١٨ : ١)، ***" نفسي فى يديك كل حين "*** (مز ١١٩ : ١٠٩) ".

ويتكلم عن كيف نكون منتبهين أثناء القداس الإلهي قائلاً:

" قِف مُرتعداً وكأنك ترى ابن الله يُقدّم ذبيحة أمامك ".

يشرح دانيال كلندينن (Daniel B. Clendenin) اقتراب القديس سمعان الشخصي من الله فيقول: " من جميع الآباء الأرثوذكس الذين عاينوا حياة الاستنارة الإلهية كحياة عملية للغاية وحياة إتحاد باطني مع الله الحي، قليل يبرُز أكثر من القديس سمعان اللاهوتي الجديد. فلسمعان الإدراك اليقظ لحلول الروح القدس هو العلامة الضرورية لهوية مسيحية حقيقية. أنها ليست مبالغة أن تفكر فيه كلاهوتي كاريزمي (Charismatic) بالنظر إلى شخصيته وتعاليمه. من خلال كتاباته - آخذين في الاعتبار رؤياه الشخصية لله - سمعان يؤكد فكرة أن الله هو نور سرائري.

كل هدف القديس سمعان أن يقود القارئ إلى اختبار مُباشر مع الله الحي، الذي هو نور، اختبار فيه " الشخص عليه أن يحطم أوثان وأن يذهب إلى ما وراء الكلمات والأفكار، وأن يحيا في الظلمة المهيبة التي لسر الله التي تتحوّل إلى نور لأولئك الذين أصبحوا أنقياء "، هنا يقودنا من ظلمة سر الله غير المدرك إلى نور الإتحاد الباطني معه "[١٤].

ونحن نلمح علاقته الحميمة بالرب من هذه المحادثة مع الرب يسوع في إحدى رؤياه:

---

[14] "Eastern Orthodox Christianity : A Western Perspective."D.B. Clendenin.Baker Books 1994.

- سأل القديس سمعان الرب: هل أنت هو إلهي؟
- أجاب الرب يسوع: **نعم أنا الله الذي صار إنساناً من أجلك، وحيث أنك أبتغيتني وسعيت في طلبي بكل قلبك، فمُنذُ الآن فصاعداً ستكون أخي وصديقي وشريكي في ميراث مجدي.**

اليزابث برسيجل (Elizabeth Behr-Sigel) توصف تقرُّب القديس سمعان الشخصي من الرب يسوع والروح القدس قائلة:

" سمعان خصيصاً أكد على حلول الروح القدس في كل إنسان مُعمَّد، ويمكن أن ننتبه بحق إلى طبيعة تقواه المُتمركزة على شخص المسيح، وأن نتبين " عمق مشاعره الدافئة " ليسوع، كما قال راهب الكنيسة الشرقية.

كانت له هذه العلاقة الحميمة مع المسيح مُتلازمة مع الاختبار المُعاش لعطية الروح القدس. فمع أن سمعان يحب المسيح بعمق كان هو أيضاً الرائد والمُبشِّر لإنسكاب الروح القدس حيث دعا كل مُعمّد أن يجعل هذا حقيقياً في حياته. نحن يجب أن نقتني الروح الذي قبلناه في المعمودية حتى نصير واعين لحقيقة أننا قد لبسنا المسيح. سمعان أب دير ماماس، في تعليمه لم يكل أبداً من أن ينصح مستمعيه بأن يكونوا مُدركين لهذه الحقائق. تعاليمه نصَّت على أن الاختبار الباطني ضروري لكل أحد، وكانت تعاليمه دعوة للحصول على إقتناء شخصي للنعمة، وإصراراً على الاستنارة بالروح.

كل مسيحي بفاعلية معموديته مدعو ليطمح لهذه الاستنارة.

سمعان نادى بأن الحياة الأبدية تبدأ هنا والآن، وأنه يجب علينا أن نعرفها ونزداد علماً بها عن طريق المُعايشة.

" لو زعمنا أن كل هذا يتحقق بطريقة مخفية وغير واعية، بحيث أننا ليس لنا أية إدراك لِمَا قد حدث، فما الذي يجعلنا نختلف عن الأجساد الميتة " [١٥].

---

[15] "The Place of the Heart ." Elisabeth Behr-Sigel. Oakwood Publications.Torrance,CA. Translated by Fr Stephan Bigham 1991. Page91

القديس أنطونيوس أب الرهبان:

قديس عظيم تغيَّرت حياته كلها عندما طبَّق كلمة الله شخصياً على حياته، القديس أثناسيوس يخبرنا بالقصة:

" أنطونيوس كان شاباً صغيراً غني، من عائلة مسيحية من مصر. والداه تنيَّحا وهو في سن صغير، فانتقلت إليه ممتلكاتهم الكثيرة. نضج بسرعة حاملاً هذه المسئولية، كان له كل غنى العالم وكل همه أيضاً. في أحد الآحاد في الكنيسة، قراءة الإنجيل جاءت من جواب الرب للشاب الغني: ***" إن أردتَ أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعطِ الفقراء، فيكون لك كنزٌ في السماء، وتعالَ اتبعني "*** (مت ١٩ : ٢١). شيء ما في هذه القطعة المألوفة أصاب أنطونيوس. وكأن الرب يسوع أعطى هذه الكلمات مباشرة له شخصياً في تلك اللحظة. أنطونيوس لم ينتظر حتى أن تنتهي الخدمة. خرج مُسرعاً من الكنيسة، وبدأ في إعداد سجلاته حتى يتمكن من بيع ممتلكاته وتوزيع ثمنها على الفقراء. من هذا اليوم كرَّس أنطونيوس حياته للصلاة. ذهب ليعيش في كوخ على مشارف البلدة، يزرع ليكسب قوته، وبعد خمسة عشر عاماً إنتقل إلى الصحراء ".

تبع أنطونيوس كثيرون من الرهبان والنساك الذين انسحبوا من المجتمع الخاطئ في أيامهم ليجدوا خلاصاً في لقاء شخصي ـ شخص لشخص ـ مع الله في الصحراء.

القديس غريغوريوس النزينزي:

قديس آخر من آباء الكنيسة، القديس غريغوريوس النزينزي يتكلم عن يسوع بطريقة شخصية جداً فيقول:

" أنا أقاسم كل شيء مع المسيح، روح وجسد، مسامير وقيامة.

يا مسيحي، أنت لي وطني الأم، قوتي ومجدي، وكل شيء.

المسيح هو قوتي، وهو نسمتي، وهو المكافأة الرائعة لركضي.

أنه هو الذي يُمكنني من الركض جيداً.

أنا أحبه بكل نقاء الحب، لأنه مُخلِص لأحبائه بدرجة تفوق كل تصوُّر.

فيه فرحي، حتى لو اختار أن يرسل لي بعض الآلام، لأنني أبتغي أن أتنقى كما يتنقى الذهب في النار ".

القديس تيخون زادونسكي[16]:

أنصت إلى الطريقة الشخصية الجميلة التي يُصلي بها القديس تيخون:

" اصغي يا نفسي... الله أتى إلينا... ربنا زارنا.

إكراماً لي ... وُلِدَ من العذراء مريم ولفَّته أمه في أقمطة.

ذاك الذي يُغطي السماء بالسُّحب، ويكسي ذاته بثياب من نور.

إكراماً لي ... وُضِعَ في مذودٍ حقير.

ذاك الذي عرشه في السَّماوات والأرض موطئ قدميه.

إكراماً لي ... تغذى من لبن أمه.

ذاك الذي يُطعم كل الخليقة.

إكراماً لي ... حمل على ذراعي أمه.

ذاك المحمول على الشاروبيم والحاوي كل الخليقة في حضنه.

إكراماً لي ... ختن بحسب الناموس، ذاك الذي وضع الناموس.

إكراماً لي ... الغير مرئي أصبح مرئياً، وعاش بين البشر ذاك الذي هو إلهي.

إلهي صار واحداً مثلي، مثل إنسان، والكلمة صار جسداً، وربي رب المجد **إكراماً لي** اتخذ شكل عبد وعاش على الأرض وخطا عليها،

ذاك الذي هو ملك السماء ".

فبحسب القديس تيخون كل مسيحي من حقه أن يقول: " **إكراماً لي** أنشأ الله العالم، و**لأجلي** صار إنساناً في المسيح، و**لأجلي** تألم على الصليب، و**لأجلي** قام من الأموات وصعد إلى السَّمَاوات ".

القديس يوحنا ذهبي الفم:

في وصف خليقة العالم، القديس يوحنا ذهبي الفم يطبع الخليقة بطابع شخصي قائلاً:

---

[16] القديس تيخون زادونسكي ولد عام ١٧٢٤م في قرية كورتسك في روسيا، ترهب بدير القديس أنطونيوس القريب من مدينته سنة ١٧٥٨م، ثم انتدب رئيساً لدير آخر، وفي سنة ١٧٦١م رُسم أسقفاً على نوفوجورد وفورنيز، وقد ألف عدة كتب أشهرها (المسيحية الحقيقية).

" إن الخليقة جميلة ومُتناسقة، واللـه خلقها جميعها فقط **إكراماً لك**. صنعها جميلة وعظيمة ومتنوعة وغنية. جعلها ذات قدرة على إشباع جميع إحتياجاتك، لتغذية جسدك وأيضاً لتنمية روحك بقيادتها تجاه معرفته ... كل هذا **إكراماً لك**. **إكراماً لك** جمّل السماء بالنجوم، و**إكراماً لك** زيَّنها بالشمس والقمر لكي ما تسعد بها وتنتفع منها ".

من كتاب " سائح روسي على دروب الرب ":

السائح هنا يصف كيف اختبر حضور اللـه كنتيجة لصلاة يسوع:

" كنت أشعر أحياناً وكأنَّ قلبي يفور بالغليان وشعوربالخفة والإنعتاق من كل قيد، وشعور بفرح غامر إلى حد أشعر معه بأني صرت رجلاً آخر أو كأني في نشوة. كنت أحياناً أخرى أحس بمحبة ملتهبة نحو يسوع المسيح ونحو الخليقة قاطبة. كانت دموعي مرات أخرى تسيل من تلقاء ذاتها عرفاناً بجميل الرب الذي تحنن عليَّ أنا الغارق في لُجج الخطايا، كما كان ذهني المحدود يستنير أحياناً فأفهم بوضوح ما لم يكن لي حتى مُجرَّد تصوّره قبلاً. وفي بعض الأحيان يدب الدفء المُستطاب من قلبي إلى كل كياني فأشعر والفرح يغمرني بحضور الرب، كما كان يُخالجني في بعض الأوقات فرح شديد عميق لذكرى اسم يسوع المسيح مما فهمت معه ما يعنيه قوله تعالى: **أن ملكوت اللـه في داخلكم** ".

الحاجة لاختبار الحق:

إن البشر مُتعطشون أن يفعلوا أكثر من مُجرَّد الإعتقاد بالشيء الصحيح. هناك عطش لاختبار اللـه في حياتهم. هذا ما قدَّمته المسيحية الأرثوذكسية على الدوام، ليس تفهماً ذهنياً فقط بل أيضاً اختباراً روحياً مع اللـه الحي.

القديس سمعان اللاهوتي الجديد، القديس غريغوري بالاماس، القديس يوحنا الدرجي، وكثيرون دافعوا عن قانونية وضرورة الحاجة لخبرة مباشرة مع اللـه. ففي الفيلوكاليا نفسها نجد أن اللاهوت يفهم أكثر على مستوى الخبرة الشخصية من أن يفهم بالمفردات العقلية. نحن الأرثوذكس لا نتعلم اللاهوت فقط من الكتب بل بصورة خاصة من الليتورجية، ومن الصلاة، ومن الصمت، ومن صلاة يسوع.

حول أهمية اختبار الحق يكتب القديس يوحنا الدرجي:

" هل تتصوَّر أن كلمات مُجردة يمكن أن تصف محبة الرب وسلام القلب بدقة أو بحق وصفاً ملائماً؟ هل تتصوَّر أن التحدُّث في مثل هذه الأمور يعني شيء لشخص لم يختبرها قط؟ إن كنت تظن ذلك ... فإنك تكون مثل إنسان - بكلمات وبأمثلة - يحاول أن ينقل حلاوة العسل لأناس لم يذوقوه قط. فهو سيتكلم بلا فائدة أو ببساطة سيثرثر ".

ليس قبول ذهني بل حقيقة حية:

واحدة من مشاكلنا هيَ أننا ممكن أن نعرف عن محبة الله عقلياً، لكن معظمنا يخفق في اختبارها والتعرف عليها في عمق أعماق قلوبنا. عندما نأتي لنعرف محبة الله شخصياً فإن حياتنا كلها تتغير.

قال شخص ما: " اليوم الذي نتحقق فيه من أن الله يحبنا محبة شخصية وفردية، سيكون يوم مُفرِح كيوم استقبال رسالة حب، كعيد ميلاد روحي لنا ".

شخص آخر قال: " كان اعتقادي أن الله يحب كل البشرية، لكن كنت أجد صعوبة كبيرة في إدراك أنه يحبني أنا شخصياً. أدركت هذه المحبة من خلال ابني، ففي أحد الليالي وأنا واقف مُتطلعاً إلى ابني الصغير وهو نائم، بدت محبتي له وكأنها تنتشر وتملأ كل الغرفة، واختبرت إحساس غامر بالفرح، وتلقائياً روحي فاضت بالشكر لله على عطية ابننا وفرحنا به. في هذه اللحظة أشرق في وعيي حقيقة أن الله يحبني هكذا ولكن بمحبة أعظم كثيراً. حقيقة محبتة تبدلت من كونها مجرد قبول ذهني وصارت حقيقة حية. من هنا بدأت أفهم شيئاً عن قيمتي في عين الله ومن خلال هذا التقدير وجدت مقدرة للحب جديدة ونامية ".

كتب ديادوكوس (Diadochus of Photike):

" إن كنا لا نتذوق حلاوة الله بشبع كامل، فلن نكون مُستعدين للإستخفاف بمسرات هذه الحياة ".

الباب الرابع

أن تَعرف الله شخصياً

نظرية التطور هى لا شخصية

فأنت لا تستطيع أن تقول لابنك "التطور يحبك"

بل تستطيع أن تقول: "يسوع يحبك"

أن تعرف الله شخصياً:

كلمة " تعرف " قد تعني أشياء متباينة عند الناس، فمثلاً لو سألت رجل الشارع: هل تعرف رئيس الدولة؟ سيجيبك: نعم. هذا لا يعني طبعاً أنه يعرفه شخصياً، ربما لم يراه قط، لكن هو يعني أنه على عِلم بمَن يكون الرئيس. أن تكون على عِلم بمَن يكون الله مُجرَّد بداية لا أكثر. أن تعرفه بطريقة شخصية هذا ما تحتاجه. في العهد القديم الفعل " عرف " قُصد به هذه الأُلفة في العلاقة، وهو كثيراً ما استخدم ليصف العلاقات الزيجية بين زوج وزوجة، كقول الكتاب: ***" وعرف آدم حواء امرأته ... وولدت قايين "*** (تكوين ٤ : ١).

إذن معرفة الله لا يعني بها أن تعرف عنه فقط، بل أن تعرفه بطريقة شخصية وحميمية.

كيف يصل الشخص إلى معرفة الله شخصياً؟ الإجابة هيَ باختبار الله عن طريق الإيمان، وحياة التسليم، والصلاة، وحياة التوبة، والصمت، والأسرار المقدسة، وصلاة يسوع، وقراءة كلمته.

الله قادر أن يجعل حضوره محسوساً، قادر أن يُكلمك في سكون نفسك، قادر أن يهزّ أعماقك حتى لا تعد ترتاب في حقيقة قربه منك ... **بل يفعل كل ذلك.** أنت لا تستطيع أن تجبر الله على مثل هذه الخبرة. هو يعطيها مجاناً. هو أعطاها لإبراهيم وموسى والقديسين. ليس هناك شخص واحد مرفوض من قبل الله لاختبار حضوره القريب. لكن يجب عليك أن تسأل ... وتسأل ... وتسأل، تطلب ... وتطلب ... وتطلب، تقرع ... وتقرع ... وتقرع، يجب عليك أن تكون مثابراً وعندك استعداد أن تمضي وقتاً معه.

القديس يوحنا ذهبي الفم يُصوِّر المسيح مُلتمساً محبتنا فيقول:

" **مَن يستطيع أن يكون أكثر كرماً مني؟** أنا أب، أنا أخ، أنا عريس.

وكمثل طعام ولباس ووطن وأصل وأساس - كل شيء يمكن أن تتمناه.

أنت لا تحتاج لشيء آخر.

أنا حتى سأصير خادمك لأني جئت لأخدِم لا لأُخدَم.

أنا أيضاً صديق، عضو، رأس، أخ، أخت، أُم.

أنا كل شيء لك. عليك فقط أن تكون صديقي.

صرت فقيراً من أجلك، شحاذاً من أجلك.

صُلبت من أجلك، دُفنت من أجلك. وفي السماء أتشفَّع للآب من أجلك.

أنت صرت كل شيء لي، أخ، شريك في الميراث، صديق، عضو.

ما الذي يمكنك أن تبتغيه أكثر من ذلك؟ ".

أربعة كتب للسماء:

قيل أنه عليك بأربعة كتب لتصل للسماء. يمكننا تخمين بسهولة أول اثنين: الكتاب المقدس وكتاب السبع صلوات. ثاني اثنين ليس لهم نفس الشهرة لكن لهم نفس الأهمية: دفتر المواعيد ودفتر الشيكات، دفتر المواعيد مهم لأنه يظهر كمية الوقت الذي نقضية مع الله في الصلاة والقداسات وفي الخدمة الدياكونية وخدمة المحتاج. دفتر الشيكات بالطبع يظهر كم نستثمر من إيرادتنا المالية في عمل الملكوت، فدائماً قلبنا سيكون حيث يكون كنزنا بحسب كلمات الرب يسوع. إن كان إيماننا شخصي سيكون حقيقي، وسوف يعلن عن نفسه في هذه الكتب الأربعة.

الإيمان ليس شيء يجب أن نفهمه ذهنياً بقدر ما هو شيء يجب أن يختبر ويُعاش. هو سيجد صياغة في كل جوانب الحياة. الإيمان في عمق جوهره هو علاقة محبة حية مع الله في ابنه ومع ابنه ومن خلال ابنه يسوع.

القديس غريغوري السينائي يوضح لنا أن أولئك الذين يشتركون في الحق هم فقط الذين يمكنهم أن يعرفوا الحق قائلاً:

" الشخص الذي يسعى أن يفهم الوصايا بدون تتميم الوصايا، ويريد أن يكتسب هذا الفهم عن طريق الدراسة والقراءة، يكون مثل إنسان يأخذ خيالاً بدل الحق، لأن فهم الحق يعطى لأولئك الذين أصبحوا مُشتركين في الحق (الذين ذاقوه خلال المعايشة). أمَّا غير المُشتركين في الحق وغير المُدربين داخلياً، عندما يطلبوا هذا الفهم يأخذونه من حكمة مشوشة. لمثل هؤلاء قال الرسول: ***" الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة "*** (١ كو ٢ : ١٤)، حتى وإن كان يفتخر بمعرفته للحق ".

الأب شميمان (Fr. Schmemann) قال مرة:

" لا يمكننا أن نثق في شخص نعرفه معرفة سطحية فقط، فمِن أجل أن يكون لنا ثقة فيه ينبغي أن نعرف هذا الشخص ونؤسِّس علاقة معه، بل من الضروري في النهاية أن نحبه.

إن معرفتنا للـه لا تأتي من كتب، ولا هيَ نتيجة لردود أفعال، فمن الضروري لكي تبلغ إلى معرفة اللـه أن تنمي علاقة معه. نحن لا نعرف اللـه كفكرة تكوَّنت نتيجة لأعمال التفكير. معرفة اللـه أمر مختلف كلية. اللـه يُعرَف من خلال علاقة مباشرة، وهذا هو ما ينبغي أن نسعى إليه ".

كيف يختبر أحد اللـه؟:

هذا هو السؤال: **كيف؟** ... كيف يختبر الشخص المسيحي اللـه في حياته اليومية؟.

الإجابة هيَ: عن طريق تعهد وتسليم الحياة ليسوع، والتحدُّث معه يومياً في الصلاة، والرجوع إليه في أخذ المشورة والقوة، والقراءة اليومية لرسالة حبه الشخصي (الكتاب المقدس)، واللجاجة في طلب عطية الروح القدس، وتقبل هذه العطية، والإتحاد معه في سر الشركة.

في بعض الكنائس الأرثوذكسية في الشرق الأوسط، رأيت بيضة نعام مُعلقة مباشرة فوق اللـهب المُشتعل لشمع النذور الرمزية لبيضة النعام له علاقة بالحرارة المُنبعثة من لهب شمع النذور. تماماً كما أن النعامة يجب أن ترقد على البيض لوقت طويل حتى ببطء يفقس من حرارة جسدها، هكذا **المسيحي يجب أن يظل قريباً من لهب المسيح**، يجب أن يمكث قريباً من الكنيسة ويجب أن يُغذي إيمانه بالصلاة اليومية والمواظبة على الشركة مع المسيح في الافخارستيا، حينئذٍ فقط سوف ينمو إيمانه وينضج ويأتي للحياة. بيضة النعام تمثل الإيمان في حالة الجنين الذي يمكنه أن يَبرُز للحياة بالصبر والأمانة في العبادة، فينتج حياة مليئة بثمر الروح، حياة تمجد الثالوث.

ربي ... هل أنا حقاً أعرفك؟:

كتب أحد رهبان الكنيسة الشرقية: " الرب يسوع أوصى بطرس الرسول الذي أعطى جواباً حسناً واعترف أنه المسيا أن لا يُعلن هذا السر لأحد (مت ١٦: ١٣ ـ ٢٠)، فكل شخص ينبغي أن يكتشف لنفسه سر يسوع. حتى إن تعلمنا مَن هو يسوع من الآخرين ـ وإن كانوا مُكلفين بتعليمنا ـ إلا أننا لن نعرف مَن هو إلا بخبرة شخصية قوية.

في الحقيقة قد ننظر إلى كثير من الأشخاص الذين كان لهم مُعتقد سليم بل وعاشوا حياة تقية ونتسائل بعجب: هل هذا الشخص عرف المُخلص؟ هل عرفه معرفة حميمية؟... كمثل معرفة رجل وامرأة متحابين بعضهم لبعض؟.

أن عدد من الأفكار المُكتسبة عن المُخلص ـ وربما الصحيحة أيضاً ـ قد تحل محل المعرفة الشخصية القوية بالرب، هذه الأفكار من الممكن أن تكون عائقاً ـ كمثل حاجز ـ يفصل بيننا وبين يسوع. **ربي هل أنا حقاً أعرفك، أم أعرف فقط ما قرأته عنك وما سمعته عنك؟** "[١٧].

كلا الاثنين معاً: شخصية وجماعية:

إيماننا المسيحي الأرثوذكسي يعتمد على علاقة شخصية مع الله. الله ليس آلة بل شخص نستطيع أن نؤسّس معه علاقة شخصية يومية، علاقة ترعى وتتغذى بعضويتنا في جسد المسيح الكنيسة. علاقة ليست مُنعزلة عن الكنيسة بل علاقة تنمو بكوننا مُتصلين مع المسيح في جسده (الكنيسة)، ومن خلال النعمة التي نستمدها من الصلاة والأسرار، وبصورة خاصة التناول المقدس.

أن علاقتنا بالله هيَ كلا الاثنين جماعية وشخصية، لكن كثيراً ما نفقد الجماعية لأننا نعيش في مُجتمع فردي بشكل جذري. نحن نحتاج أن نتذكر أن علاقتنا الشخصية مع المسيح تتأصل وتترسخ في علاقة الشركة التي لنا معه كأعضاء في جسد المسيح الكنيسة.

بالطبع ممكن أيضاً أن نفقد الجانب الشخصي في الجماعي (عندما نذهب الكنيسة بين الحين والآخر ولكن بدون علاقة شخصية مع يسوع). نحتاج الاثنين! نحتاج صلاة خاصة في البيت وصلاة عمومية في الكنيسة، كل جانب يُطعِم الآخر.

---

[17] "Jesus : A Dialogue with the Saviour" by a monk of the Eastern Church. Desclee Co.,Inc.

الأب جورج فلورفسكي (Fr. Georges Florovsky) عبَّر عن هذا جيداً عندما كتب: " لا يخلص الإنسان إلا في الجماعة الكنسية، وأيضاً لا يحقق خلاصه إلا بواسطة الإيمان الشخصي والطاعة ".

ديانة رباط المريلة:

قد يفترض شخص، بما أن والدته لها إيمان حي وشخصي ـ وهيَ ذاهبة لا محالة إلى السماء ـ فإن تمسك **برباط المريلة** الخاص بها فهو يعتقد أنه سيذهب لاحقاً بها أيضاً إلى السماء. لكن بالطبع لا يكفي أن يكون لك شخص تقي من بين أسلافك، حتى وإن كان أب الآباء إبراهيم.

قد تنتقل الجينات في العائلة لكن ليس الإيمان. بالطبع أنه لامتياز رائع أن يكون لك والدين مؤمنين وتقاليد ممتدة لأسلاف أتقياء، لكن أنت تفقد هذا الإمتياز إن كنت أنت شخصياً لا تستطيع أن تعترف قائلاً: " **أنا أؤمن** "، وإن كنت إتباعاً لمعموديتك لم تصل إلى اعتراف شخصي بالإيمان بيسوع كرب. هذا الاعتراف الذي يُجدّد في كل قداس إلهي باعترافك بقانون الإيمان، ويُجدّد عندما تصلي صلاة الاستعداد للتناول قائلاً: " أنا أؤمن وأعترف أنك المسيح ابن الله الحي ".

إلـهـي:

قال أحد الأشخاص: " الدين هو مسألة ضمائر شخصية، أي كوني قادراً أن أخاطب الله: (إلهي)، وعالماً أن الله يخاطبني: (ابني) ".

الرب يسوع كان لقديسي الكنيسة - أمثال القديس بولس وجيروم وسمعان اللاهوتي الجديد وغيرهم - شخص حقيقي، ولذلك كان مُمكناً لهم تأسيس علاقة شخصية عميقة معه. نستطيع أن نلمح هذا في الأمثلة الكثيرة التي أشار فيها قديسو وآباء الكنيسة للرب يسوع ليس باسمه فقط بل بتعبير " **يسوعي** ". تعبير ينم على احساس رائع من الألفة.

القديس بولس الرسول يتكلم عن يسوع بهذه الألفة هكذا: ***" الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي "***.

وُلِدَ لكم اليوم:

عندما نقرأ بشارة الملاك للرعاة بميلاد يسوع: " وُلِدَ لكم اليوم في مدينة داود مُخلص هو المسيح الرب " (لو٢ : ١١)، ليتنا ننتبه لهذه البشارة الخاصة ولكلمات: " وُلِدَ لكم "، فالملاك لا يُبشِّر بميلاد يسوع للبشرية بشكل عام بل لكل واحد منا شخصياً (كما خصَّ الرعاة). هو يرغب أن يكون مُخلصك بطريقة فريدة، شخصية واستثنائية.

الكلمة المُتجسد يُولد بشكل مُستمر في مذود قلوبنا، كما كتب أنجيلوس سيلسيوس (Angelus Silesius): " حتى لو كان على المسيح أن يُولد ألف مرة في بيت لحم، فإن لم يُولد فيك فأنت مفقود للأبدية ".

الحياة الأبدية تبدأ هنا على الأرض عندما نُرحِّب بيسوع في مذود قلوبنا وننمي علاقة شخصية يومية معه كأعضاء أحياء في جسده الكنيسة.

الأسقف كاليستوس وير (Bishop Kallistos Ware) يؤكد على الجانب الشخصي العميق لإيماننا الأرثوذكسي عندما يكتب:

" نحن لا نعرف المسيح كتصور منقول غامض من الماضي البعيد، نقتني عنه المعلومات الحقيقية من خلال السجلات المكتوبة، لكن نعرفه مُباشرة هنا والآن في الحاضر كمُخلصنا الشخصي وصديقنا، بسبب حضور المُعزِّي الروح القدس في قلوبنا. نستطيع أن نشهد مع القديس توما: ***" ربي وإلهي "*** (يو ٢٠ : ٢٨). نحن لا نقول: " المسيح مات " فحسب بل نقول: " المسيح مات لأجلي ". نحن لا نقول: " المسيح قام " فحسب بل نقول: " المسيح قائم ". هو يحيا الآن لأجلي وفي داخلي. هذه العلاقة مع يسوع هيَ بالتحديد عمل الروح " [١٨].

مع المسيح:

ربما لم يُعبِّر أحد عن الجانب الشخصي لإيماننا الأرثوذكسي أفضل من القديس بولس. هو يستعمل أفعال مُركبة مُتعددة تبدأ بحرف الجر اليوناني (with=syn):

---

[18] "The Orthodox Way " Kallistos Ware .Svs Press .Crestwood ,NY.1979.

أنا أتألم مع المسيح، أنا صُلبت مع المسيح، أنا أموت مع المسيح، أنا دُفنت مع المسيح، أنا أقوم وأحيا مع المسيح، أنا صعدت للسماء وأجلس عن يمين الآب مع المسيح. (رو٦ : ٣ - ١١، غلا ٢ : ٢٠، ٢ كو١ : ٥، ٤ : ٧، كو٢ : ٢٠، أف ٢ : ٥ - ٦). هذه هيَ طريقة بولس الرسول في تأكيد أهمية اشتراكنا الشخصي في الفداء بأن نلبس المسيح ونتشبه به ***" لأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في "***.

القديس غريغوريوس النزينزي يُعبِّر عنها هكذا:
" أمس صُلبت مع المسيح ... اليوم أتمجَّد معه.
أمس مُت معه ... اليوم أشترك في قيامته.
أمس دُفِنت معه ... اليوم استيقظ معه من رقاد الموت ".

إلى أي مدى سيذهب من أجلنا؟:

يمكننا أن نرى في شخص الرب يسوع إلى أي مدى يرغب الله ويسعى لكي يقودنا بعيداً عن حافة الهلاك. المسيح قطع كل هذه المسافة من السماء لأجلنا. صار عبداً من أجلنا حتى إلى درجة غسل أقدامنا، وأن يموت موت العبد على الصليب عن خطايانا. جاء الرب ساعياً وراء شعبه في هذا العالم الساقط، يدعونا للرجوع لبيت أبيه، حتى نزل إلى الجحيم من أجل أن يرجعنا إلى الآب، كما يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: " أنه لم يَكُف عن فعل كل شيء حتى قادنا إلى السماء ".
أنه ينظر إلينا اليوم و بأذرع مفتوحة يشير علينا أن نأتي إليه قائلاً: " أريد أن أجمعكم كلكم كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها "، ولكن كم هو مُحزِن أنه كثيراً ما يضطر أن يضيف هذه الكلمات الرهيبة: ***" ولكنكم لم تريدوا "***.

كل محبة الله هيَ لك، محبة شخصية بشكل فريد، تضحيته على الصليب هيَ من أجلك، موته وقيامته هما لك، لأجل خطيئتك وإثمك وقلقك الداخلي، ولأجل غفرانك وسلامك. هو يسعى وراءك حتى الآن وأنت تقرأ هذه الرسالة، يفتح ذراعيه مع قلبه لك. يريد أن يكون جزءاً من حياتك ليُساعدك في حمل أحمالك وليقودك في الطريق إلى السماء.

عندما تبدأ الحياة الحقيقية:

ابحث في التاريخ واختار بعضاً من الجبابرة العظماء الروحيين واسألهم: " متى حقاً بدأت أن تحيا؟ ". واحد فواحداً سيُعطيك نفس الإجابة: " عندما قابلت يسوع المسيح ". إن كان زكا أو بولس أو أغسطينوس أو أي أحد من القديسين الإجابة واحدة: " أنا بدأت الحياة ... الحياة الحقيقية ... عندما قابلت المسيح شخصياً، عندما أيقنت من محبته لي وسلمت له حياتي ".

لماذا اختار الرب يسوع أن يأتي إلى العالم كطفل؟ لأنه ببساطة كل أحد يحب الأطفال الصغار! والله يريد أن يكون محبوباً منك ومني.

ثلاث مرات يسأل بطرس: هل تحبني؟ فهو يريد أن يُحَب تماماً كما هو يحبك. جاء للأرض في عيد الميلاد لكي يقول لك: " أنت ابني (أو ابنتي) المحبوب ... أنا أحبك "، لا يوجد رسالة أعظم من هذه التي تحمل محبة الله غير المشروطة. هذه هيَ رسالة الإنجيل. آمن بها وبالتأكيد ستتغير حياتك.

الاسم المُعطى ليسوع هو " عمانوئيل " الذي يعني " الله معنا "، الله معي ... الله معك ... ما يعنيه هذا في الحقيقة أن الله لديه وقت لي. الله لديه وقت لك. هو لديه وقت لنا لأنه يحبنا، والسؤال هو: هل لدينا نحن وقت لله؟.

علاقة الحب مع الله هيَ جوهر المسيحية. فبقدر ما نزداد في محبة الله بقدر ما نحب أن نصلي وأن نخدمه وأن نطيعه وأن نتبعه وأن نفعل مشيئته.

اطرد القردة من فوق ظهرك:

المشكلة مع كثير منا أننا فارغين من الداخل ونحاول أن نملئ فراغنا الداخلي بأشياء خارجية. قال " هنري نوون Henri Nouwen ": إننا نشبه شجرة موز مملوءة بالقردة، ومشكلتنا تتلخص في محاولة طرد القردة من فوق ظهورنا، لكي ما نخلي مساحة صغيرة بالداخل حتى نُمَكّن الله أن يأتي ويقول لنا: " **أنا أحبك. أنت تنتمي إليَّ. أنت ابني (أو ابنتي) المحبوب** "، فنحاول باستمرار أن نطرد القردة ونترك مساحة مفتوحة لله، بعض الوقت الهادئ للصلاة والتأمل كل يوم، ووقت للقداس الإلهي كل أحد، حتى ما نستطيع أن نسمع صوت الله في محاولته أن يصل إلينا مُعلناً محبته الشخصية قائلاً: " **أنت ابني (أو ابنتي) المحبوب، أنا خلقتك من عَدم.**

أنا فديتك بدم ابني الوحيد يسوع. أنا ختمتك بعطية الروح القدس. أنا أريدك أن تكون معي في السماء لكي تنظر مجدي، أنت تخصني ".

عمق محبة الله الشخصية لنا تظهر في هذه الصلاة لتوماس كمبيس (Thomas A.Kempis):

المحبة عميقة جداً، سامية جداً، واسعة جداً.

" آه أيها الحب ... ما أعمقك، ما أوسعك، ما أسماك.
يا لعظمتك أيها السر العجيب الذي جعل ابن الله يتخذ من أجلنا شكلنا الفاني.
لم يُرسل ملاكاً لجنسنا من مكان عال أو سفلي.
بل جاء بنفسه للعالم ولبس رداء الهيكل الإنساني.
من أجلنا اعتمد ثم انقاد بالروح، وصام ذاك الذي أطعم الألوف.
من أجلنا عرف التجارب الشديدة، ومن أجلنا هزم المُجرب.
من أجلنا صلى، ومن أجلنا علم، وكل عمل عمله كان من أجلنا.
بالكلمات والآيات والأفعال ... كان لا يطلب ما لنفسه بل ما لنا.
من أجلنا رجال أشرار خانوه وجلدوه وهزءوا به.
وبتاج من الشوك ألبسوه، وأخيراً أسلم روحه من أجلنا.
من أجلنا قام من الموت، من أجلنا صعد إلى العلاء ليملك.
ومن أجلنا أرسل روحه ليقودنا ويقوينا ويفرحنا.
كل المجد لربنا وإلهنا لأن المحبة عميقة جداً، وسامية جداً، وواسعة جداً.
كل المجد للثالوث إلى أبد الآبدين "[19].

---

[19] Attributed to Thomas A. Kempis, 1380-1471 , translated by Benjamin Webb, 1820-1885.

الباب الخامس

ما هي العضوية الكنسية؟

"الأرثوذكسية هي كنيسة المسيح على الأرض.

لكن كنيسة المسيح ليست مؤسسة،

بل هي حياة جديدة مع المسيح . . . وفي المسيح

تحت قيادة الروح القدس".

سرجيوس بلجاكوف

Sergius Bulgakov

ما هيَ العضوية الكنسية؟:

ما هيَ العضوية الكنسية؟ هل هيَ كونك مُعمَّداً؟ هل هيَ بدفع حصتك المُقرَّرة؟ هل بالتواجد في الكنيسة منذ الصغر؟ هل هيَ مبنى أذهب إليه أحياناً؟ بالتأكيد لا، هيَ علاقة شخصية مع يسوع الذي هو " ربي وإلهي ".

عندما اعتمدنا طُلِب مِنا أن نجحد الشيطان وأن نَقبل المسيح. سؤلنا: " هل تقبل يسوع؟ هل تؤمن بيسوع كملك وإله؟ "، ففي المعمودية أسسنا علاقة شخصية مع يسوع. العضوية الكنسية إذن هيَ علاقة شخصية مع يسوع تأخذ مكاناً وتتغذى في نطاق الكنيسة - جسد المسيح - من خلال الإيمان والصلاة والتعهد الشخصي والعبادة والأسرار.

نحن لا نخلص بكوننا أعضاء في مبنى نسميه كنيسة، ونحن لا ندفع رسوماً للكنيسة، لأنها ليست نادياً بل هيَ جسد المسيح. نحن لا نستمد الحياة من كوننا مُتصلين بمبنى بل بشخص، وبكوننا في علاقة محبة حية مع هذا الشخص. **الرب يسوع لم يأتِ ليؤسس مؤسسة نظرية - لا شخصية - أو ديانة، بل أتى ليُقدِّم ذاته شخصياً ليحيا ويسكن في قلوبنا بالإيمان.**

العضوية الكنسية ليست بالوراثة:

إنَّ الدين جاء بالوراثة للكثير منا. لم نقل لله أبداً كما قال له أيوب: ***" بسمع الأذن قد سمعت عنك، والآن رأتك عيني "*** (أيوب ٤٢ : ٥)، أو بكلمات أخرى: " الآن رأيتك بعيني، الآن أنا أعرفك شخصياً ".

صار أغلبنا تلاميذاً لتلاميذ ... كانوا بدورهم تلاميذاً لشخص في الماضي كانت له خبرة شخصية مع الله، لكن من المُستحيل أن الحب الحقيقي والتعهد الشخصي ينتقل هكذا.

لكثير من الناس الإيمان المسيحي إيمان (secondhand faith) مورَّث من الوالدين، لكن بعض الأشياء لا يمكن توريثها. العقارات أو الأموال تورَّث لكن الصلاة أو الإيمان أو التعهد الشخصي أو ملكوت الله لا يمكن توريثهم. كل صلوات الآخرين في الماضي لا تقدر أن تفدي أي شخص لا يستطيع أن يقول كما قال الرجل الأعمى الذي شُفِيَ: ***" إنما أعلم شيئاً واحداً: أنّي كنت أعمى والآن أُبصر "*** (يو ٩ : ٢٥).

قال جوثي Goethe: " الأملاك التي ورثتها عن الأجداد، يجب أن تكسبها حتى تستطيع حقاً أن تمتلكها "، فالإيمان إن لم يكن شخصياً فلن يكون حقيقياً.

مُجاراة القديسين:

كثيراً ما نُغمَر بسير قديسي الكنيسة العظام ونتساءل كيف نضاهي ما فعلوه؟ لكن نحن لم نُدعَى لكي نماثل ما فعلوه، لأنَّ كل واحد منا مختلف ومُميز بطريقة فريدة. نحن مدعوّون أن نحيا بحسب موقعنا الفريد بالمواهب الخاصة التي أعطاها لنا الله.

لم يُعبِّر أحد عن هذا أفضل من القديس إفاغريوس:

" أي شخص يرغب أن يخطو في أعمال الحياة الفاضلة ينبغي عليه أن يدرب نفسه بلطف إلى أن يصل في النهاية إلى حالة الكمال. لا ترتبك بالطرق الكثيرة التي سلك فيها أباؤنا القدماء - كل مختلف عن الآخر. لا تحاول بحماس أن تقلدهم كلهم، فهذا سوف يفسد طريقة حياتك. لكن بالأحرى **اختر طريقة حياة توافق حالتك الضعيفة، وأسلك فيها وأنت تحيا**، لأن ربك رحوم وسوف يقبلك لا بسبب إنجازاتك بل بسبب نيَّاتك، تماماً كما قبل عطية المرأة المعدمة (التي أعطت من إعوازها) ".

نقرأ في كتاب " تعال وانظر " (Come & see) للأب ثيؤدور بوبوش (Theodore Bobosh) الآتي:

" ما ينقص هو إيمان مسيحي حي ومختبر ليتماشى مع قوة العقيدة المستقيمة التي للكنيسة الأرثوذكسية، ومن الصعب الإعتقاد أن المسيحي الأرثوذكسي العادي له أي معرفة شخصية أو علاقة مع الله، بالتأكيد خارج الخدمات هناك نسبة ضئيلة جداً من المحادثة المباشرة والمتحمسة عن المسيح وكنيسته بين عامة الشعب (غير الإكليروس)، ومدى جهل المسيحي الأرثوذكسي بخصوص إيمانه لا يُصدَّق بل منذر بالخطر. **الكثير يعتمد بسلبية على تاريخ أرثوذكسية الكنيسة، ويُحاول أن يحيا ليس بإيمانه الشخصي في المسيح بل بإيمان الآباء** ".

يتم تنبيهنا قبل إقلاع الطائرة بأن علينا عند حدوث أي طارئ أن نلبس قناع الأكسوجين الخاص بنا أولاً ثم نلبسه لأطفالنا. إن كنا نحن كوالدين أو كهنة أو مُعلمين لم نلبس المسيح أولاً فلن نستطيع أن نسلمه لآخرين. لا نستطيع أن نساعد في خلاص الآخرين إن كنا نحن أنفسنا لم نسر في طريق الخلاص. **فيجب علينا أن نلبس المسيح أولاً قبل أن نستطيع أن نشاركه مع الآخرين.**

النعمة والتلمذة:

كتب أحد اللاهوتيين الأرثوذكس المشهورين الأب جورج دراجاس (Fr.George Dragas): " بالنظر إلى علم اللاهوت من جهة الله هو نعمة - نعمة الثالوث، أما بالنظر إليه من جانب الإنسان فهو تلمذة غالية ". إستجابتنا نحن لنعمة الله هي: تلمذة، تلمذة تقوم على تغذية وتنمية علاقة شخصية يومية مع الله. الحياة الأبدية تبدأ الآن بعلاقة شخصية يومية مع يسوع نحياها في جسده الكنيسة.

ميلادان للسيد المسيح:

لكي ما نفهم ماذا تعني العضوية الكنسية نحتاج أن نتذكر أنه ليس هناك ميلاداً واحداً للمسيح بل اثنين، الأول هو ميلاده للعالم عندما وُلِدَ في بيت لحم، والثاني هو ميلاده في النفس البشرية عندما يتجدَّد الشخص روحياً بعد المعمودية، ويحيا حياة التوبة، ويستقبله بانتظام في الأسرار وبصورة خاصة في سر الإفخارستيا.

أكد القديس بولس على هذا الميلاد الثاني عندما كتب لأهل أفسس مُصلياً ليحل المسيح بالإيمان في قلوبهم، وأن يتأصلوا ويتأسسوا في المحبة. هذا هو بيت لحم الثاني. العلاقة الشخصية اليومية للفرد مع الرب يسوع حبيبنا العظيم.

معنى العضوية الكنسية هو: السكنى الشخصية للمسيح في المؤمن عن طريق التناول والممارسة اليومية لحضوره الإلهي. إن إحدى الدرجات الرئيسية في مسيرتنا الروحية بحسب أقوال الآباء هيَ الإتحاد المُباشر الشخصي مع الله.

أنـا أعرفـه:

أن تكون مسيحياً أرثوذكسياً بعيداً كل البعد عن كونك قادراً على تقديم شهادة معمودية، لكن المسيحية الأرثوذكسية هيَ حياة اختبارية شخصية للمسيح القائم - الذي يحيا ويملك في حياتنا - هيَ حياة في سلام داخلي وحرية وادراك جديد للاتجاه والغرض من حياتنا.

قال شخص ما: " أنا لا أعتقد في اللـه فقط بل أنا أعرفه ".

وقال القديس بولس: ***" لأنني عالمٌ بمَن آمنت ".***

وفي إحدى الصلوات الكنسية نقول: " بمشاهدتنا (باختبارنا) لقيامة المسيح نحن نعبد الرب يسوع ".

ويقول الأب سلوان Staretz Silouan: " أن تؤمن باللـه فهذا شيء، لكن أن تعرفه فهذا شيء آخر ".

الفقرة التالية من التقرير المذكور سابقاً المُقدَّم لرئيس الأساقفة ياكوفوس عن مُستقبل الأرثوذكسية. مرة أخرى أحصي كم مرة تكررت كلمة شخصي:

" الإجابة بشكل عام لأزمة الإيمان الحالية هيَ في الاقتراب **الشخصي** لحقائق وقيَم الإيمان الأرثوذكسي. وكلمة **شخصي** هنا تعني احتواء هذه الحقائق والقيم باطنياً والتمسك بها باقتناع **شخصي** واعٍ. **نحن لا نستطيع لكي ما نثبت الهوية الأرثوذكسية أن نستمر في الاعتماد فقط على المكاسب الروحية الماضية أو ببساطة على قوة التقليد والعادات الشكلية، بل ينبغي علينا أيضاً أن نولّد نحن أنفسنا مكاسب روحية جديدة** في هذا المجتمع العلماني المُتعطش بواسطة الإضرام الروحي للنفوس الأرثوذكسية بنعمة محبة المسيح ".

نصـير صـلاة:

الهدف والقصد من تنمية علاقة شخصية ويومية مع الرب يسوع، يعبر عنه جيداً الأب جويتمان (Fr. Goettmann) وهو كاهن فرنسي أرثوذكسي قائلاً:

" نحن أولاً نقوم ببعض التداريب ثم نصير تدريباً، نردد الصلوات ولابد أن نصير أخيراً صلاة، نذهب لحضور القداس لكن كياننا مدعو أن يصير بكليته ذبيحة ليتورجية وحياتنا اليومية تصير احتفالاً، نسعى لنختبر الله غير أنه بفعلنا ذلك نحن أنفسنا نصير آلهة "[٢٠].

اكتشاف الله في اللحظة الحاضرة:

علم الآباء أن حالة نقاوة القلب هيَ حالة فيها يكون الإنسان " أحادي الهدف " (single-minded)، لذلك يجب التأكيد على أهمية جعل الله في مركز حياتنا اليومية، فنحن نستطيع أن نبعد عنا كل هم وكل قلق من جهة المستقبل بإيماننا أن الله طرف فعَّال في حياتنا اليومية، ونحيا لله في اللحظة الحاضرة، لحظة ممتلئة بحضوره الإلهي وبإمكانية النمو لشبهه. وبالتالي، لا نهتم للغد (مت ٦ : ٢٤)، عالمين أن كل شخص نتقابل معه، وكل موقف ندخل فيه ممكن أن يكون لقاء مع الله. نحن نحتاج أن نكتشف الله في الحاضر. كثيراً ما نهتم بالمستقبل أو نُستغرق في ذكريات الماضي وبعملنا هذا نفقد الله في الحاضر، ولهذا السبب علاقتنا الشخصية اليومية مع المسيح مهمة فهي تساعدنا أن نجد الله ونختبر قوته في اللحظة الحاضرة.

الرب يسوع يدعو مريم باسمها:

في نهاية بشارة يوحنا نجد مريم المجدلية خارج القبر قريبة جداً من المسيح القائم لدرجة أنها كانت تستطيع أن تلمسه ولكنها لم تتعرف عليه بل لم تفهم أيضاً معنى ما قد حدث. كانت متحيِّرة ومكتئبة لأنها كانت تعتقد في هذه اللحظة أن سيدها ميت وأن أساس عالمها إنهار، لكن بعد ذلك نجد الرب يسوع القائم يبلغ إليها بكلمة واحدة مخاطباً إيَّاها باسمها " مريم ". عندما سمعت اسمها تعرَّفت عليه في الحال وأجابته بكل إعزازها الشخصي " ربُّوني " التي تعني " ربي ".

---

20 "The Spiritual Wisdom and Practices of Early Christianity." Alphonce and Rachel Goettman.1994. Inner Life Publishing. Greenwood ,IN.

يسوع يُحبنا محبة شخصية ويدعونا بالاسم، فنجده يقول لبطرس: ***بطرس أنا صليت من أجلك***. إن كان قد صلى خصيصاً وبالاسم لبطرس، فهل لا يُخصك أنت أيضاً بمحبته؟ الصلاة من أحد الجوانب هيَ الإستماع ليسوع وهو يدعونا بالاسم، فمحبة الله هيَ محبة شخصية.

زار أحد الطلاب الأجانب من ألمانيا الغربية اجتماع شباب في كنيسة في الولايات المتحدة، وعندما رجع إلى بيته في ذلك المساء قال لأصدقائه " لقد صلوا من أجلي بالاسم، أنا لم أسمع من قبل اسمي يقال في صلاة ". تأثر هذا الشاب جداً لأنه ذاق محبة الله الشخصية له. ألا ينبغي أن نتذوق نحن أيضاً هذه المحبة الشخصية؟ أليس الله يقول لكل واحد منا: ***" دعوتك باسمك أنت لي "*** (إش ٤٣: ١).

صورة نافذة لقلب الله:

ما هيَ محبتنا الشخصية للآخرين إلا إنعكاس لمحبة الله لنا.

الأصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا - الذي يعد من أهم وأروع أصحاحات الكتاب المقدس - يحتوي على ما يُعرف بالصلاة الكهنوتية التي قدمها الرب يسوع لأبيه في حضور تلاميذه وهو في العِلِيَّة يوم العشاء الأخير.

يظهر لنا يسوع منهمكاً في نوع رائع من الصلاة الشخصية جداً، صلاة حميمة ودافئة، في حديث شخصي لطيف غير مستعجل، ينعم في حضور الآب. يتكلم مع الله - قلباً لقلب - مُصلياً من أجل تلاميذه ومن أجل كل الذين سيؤمنون به على مدى القرون عن طريق بشارتهم. هذه الصلاة الكهنوتية الجميلة التي بدأها يسوع على الأرض لا تنتهي هنا، بل تستمر في السماء حيث يشفع يسوع عنا على الدوام كشفيع ووسيط أمام عرش الله الآب. **إن كنا نؤمن حقاً أن الرب القائم يشفع فينا فكيف يمكن أن يستمر أحد منا في حياة يائسة؟.**

الرب يسوع صلي بحرارة - صلاة خاصة - من أجل تلاميذه الذين سيتركهم ليكملوا خدمته، ونجده يضُمنا نحن أيضاً إلى تلاميذه عندما يُصلي في الآية ٢٠ قائلاً: ***" لست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم "***، فنحن هم الأشخاص الذين يؤمنون به اليوم عن طريق كلام التلاميذ وبالتالي فصلاته هيَ من أجلنا ... من أجلك ومن أجلي.

شفاعة المسيح من أجلك:

تستطيع أن نقرأ يوحنا ١٧ بطريقة شخصية جداً بدءاً من آية ٦، فيمكنك أن تضع اسمك مكان الضمائر المختلفة: " أنا أظهرت اسمك لـ ... الذي أعطيتني من العالم، ... كان لك وأعطيت ... لي، و ... قد حفظ كلامك ... من أجل ... أنا أسأل. لست أسأل من أجل العالم، بل من أجل ... الذي أعطيتني لأن ... لك ... ولست أنا بعد في العالم وأما ... فهو في العالم ... لست أسأل أن تأخذ ... من العالم بل أن تحفظ ... من الشرير ".

المسيح يحبنا محبة شخصية وهو يشفع فينا. تذكر صلاة يسوع الخاصة من أجل سمعان بطرس كما ذكرها القديس لوقا: ***" وقال الرب: سمعان، سمعان، هوذا الشيطان طلبكم لكي يُغربلكم كالحنطة! ولكني طلبتُ من أجلك لكي لا يَفنى إيمانك. وأنت متى رجعت ثبِّت إخوتك "*** (لو ٢٢ : ٣١ ، ٣٢).

سلموا على بريسكلاَّ وأكيلا:

دفء العلاقة الشخصية التي توجد بيننا وبين الله تشكل علاقتنا بعضنا ببعض، وتجعلها أكثر شخصية. القديس بولس يعبر في آخر رسالته لرومية عن هذه المحبة الشخصية حينما يذكر ويرسل تحياته الدافئة لجمهور من الأشخاص بالاسم وأخذ ١٦ آية ليفعل ذلك. كنت أعتبر قبلاً أن هذه التحيات الشخصية غير ضرورية، ولكنني اكتشفت بعد ذلك أنها تعكس محبة الله الشخصية لكل واحد منا بالاسم:

- ***" أوصي إليكم بأُختنا فيبي، التي هيَ خادمة الكنيسة التي في كنخريا، كي تَقبلوها في الرب كما يحق للقديسين، وتَقُومُوا لها في أيّ شيء احتاجته منكم، لأنها صارت مُساعدة لكثيرين ولي أنا أيضاً.***
- ***سلِّمُوا على بريسكلاَّ وأكيلا العاملين معي في المسيح يسوع، اللذين وَضَعَا عُنُقيهما من أجل حياتي، اللذيْن لستُ أنا وحدي أشكرهما بل أيضاً جميع كنائس الأمم، وعلى الكنيسة التي في بيتهما.***
- ***سلموا على أبينتوس حَبيبي، الذي هو باكورة أخائية للمسيح.***

- *سلموا على مريم التي تعبت لأجلنا كثيراً.*
- *سلموا على أندرُونِكوس ويُونياس نسيبيَّ، المأسورين معي، اللذيْن هما مشهوران بين الرُّسل، وقد كانا في المسيح قبلي.*
- *سَلِمُوا على أمبلياس حَبيبي في الرب.*
- *سَلِمُوا على أوربانوس العامل معنا في المسيح، وعلى إستاخيس حَبيبي.*
- *سَلِمُوا على أبَّلس المُزكى في المسيح.*
- *سَلِمُوا على الذين هم من أهل أرستوبولوسَ.*
- *سَلِمُوا على هيروديون نسيبي. سلموا على الذين هم من أهل نركيسوس الكائنين في الرب.*
- *سَلِمُوا على تريفينا وتريفوسا التاعبتيْن في الرب. سلموا على بَرسيس المَحبوبة التي تعبت كثيراً في الرب.*
- *سَلِمُوا على رُوفُسَ المختار في الرب، وعلى أُمِّه أُمِّي.*
- *سَلِمُوا على أسينكريتُس، فليغُون، هرْماسَ، بتروباس، وهرْميس، وعلى الإخوة الذين معهم.*
- *سَلِمُوا على فيلولُوغُسَ، وجُوليا، ونيريُوس وأُخته، وأولمبَاس، وعلى جميع القديسين الذين معهم.*
- *سَلِمُوا بعضكم على بعضٍ بقبلة مقدسةٍ. كنائس المسيح تُسَلم عليكم ".*

(رومية ١٦ : ١- ١٦)

قال الرب: *" دعوتك باسمك. أنت لي "*، فمحبة اللـه هيَ محبة شخصية. عندما نظهر أمام اللـه في اليوم الأخير، سيُكلمك اللـه بطريقة شخصية جداً بالاسم قائلاً: " نِعِمَّا يا مرقس ... يا مريم ... يا حنا ... كنت أميناً في القليل سأقيمك على الكثير. تعال رِث الملكوت المُعدّ لك مُنذُ تأسيس العالم ". ستبدأ الحياة في السماء عندما تسمع صوت يسوع يدعوك بِاسمك في مجيئه الثاني.

الباب السادس

الرب يسوع:

مُخلِّص كوني أم شخصي

"لا يوجد مؤمن روسي أرثوذكسي يمكنه أن يُفكر
أن يدعو يسوع: "مُخلِّص شخصي"
هو مُخلِّص كوني - لا يخصني أنا وحدي"

الأب أنتوني أوجلنيك

Fr. Anthony Ugolnik in
"The Illuminating Icon"

يسوع: مخلص كوني أم مخلص شخصي:

الأب أنتوني أوجولنيك (Anthony Ugolnik) في كتابه الرائع " الأيقونة المضيئة " يكتب:

" انظر إلى سقف كنائس العبادة في روسيا ستجد أيقونة ملوكية ليسوع ممتدة عبر القبة، والرب ناظراً إلى أسفل على المحتشدين في مملكته، فالحياة المقدسة تأتي إلينا في الجماعة. لا يوجد مؤمن روسي أرثوذكسي يمكنه أن يفكر أن يدعو يسوع: " مخلص شخصي "، فهو مُخلص كوني، لا يخصني أنا وحدي. على سبيل المثال: المسيحيون الروس يتحيَّرون من المصطلح الذي يُعَرِّف المسيح كمخلص شخصي، حاولت أن أشرح لهم هذه العبارة ولكنهم يرتبكون بعض الشيء بكلمة " شخصي ". أحدهم سأل في إبتسامة: " مثل محفظة ... أو فرشاة أسنان "، ففي تفكيرهم الكوني يسوع هو هذا الفاعل الإلهي الذي به كل الخليقة ترتبط باللاهوت، يسوع هو مُخلص عظيم جداً حتى أنه يعلو على التصنيف الشخصي "[٢١].

إن الكنيسة تقول لهذا الشخص الذي يظن أن يسوع ليس مُخلص شخصي بل مُخلص الكوني: أن الرب هو كلا الاثنين معاً كوني وشخصي. **إن كان يجب أن يصير الخلاص حقيقي فالمُخلص الكوني يجب أن يصير مُخلصنا الشخصي**، فالخلاص شخصي ولكنه ليس خاص، فمن الممكن أن نهلك بمفردنا لكن لا نستطيع أن نخلص بمفردنا. نحن نخلص في جسد المسيح الكنيسة من خلال مشاركة وقبول شخصي لصلب الرب وقيامته، هذا الذي يبدأ في المعمودية ويستمر خلال الحياة بأكملها.

بانطوكراتور وأعز صديق:

الرب يسوع هو فعلاً الضابط الكل (بانطوكراتور) ... كُلي القدرة ... كلي السُّلطان ... إله كوني ... رب الأرباب وملك الملوك، ولكنه في نفس الوقت شخص ... وصديقنا الأفضل. يجب علينا أن نتركه ينزل من هذه القبة العالية ليجعل بيته في قلوبنا كمُخلص شخصي وصديق، فهو كلا الاثنين متعال ومُلازم (للبشر)، فهو لا يمكن امتلاكه مثل فرشاة أسنان إلا أنه يرغب بشدة أن يسكن فينا بالنعمة.

---

[21] "Illuminating Icon ." A.Ugolnik . Wm.B.Eerdmans Co.1989.

أنا عرفت لاهوتيين عظماء وعلماء يجلون اللـه بكل خشية ورهبة وفي نفس الوقت يعرفونه من خلال المسيح كصديق شخصي ومُخلص. الرب يسوع هو الذي أخذ المبادرة ودعانا أحباء أولاً، فهو الذي بادر بهذه العلاقة الشخصية التي يرغب أن يُنشئها معنا.

دانيال كلندينن (Daniel B. Clendenin) يوضّح الأمر الذي غالباً ما يربك البعض في تفهم الاختلاف بين تعالِي اللـه القدوس - غير المُدرك - وبين حلول اللـه وقربه منا فيكتب:

" هل اللاهوتيون الشرقيون شدَّدوا على تعالِي اللـه القدوس للدرجة التي بها يجب أن ينكروا حلوله وقربه وتفاعله الشخصي معنا؟ ... في الحقيقة يبدو أنه علينا أن نرد بالإيجاب، لكن إن توقفنا عند هذه النقطة نسئ لآبائنا الشرقيين إساءة بالغة، لأنهم بالإضافة إلى تأكيدهم على تعالِي اللـه غير المدرك، نجدهم على حد سواء يصرون على ضرورة الاتحاد الباطني معه، ويجذبون انتباهنا للعديد من التصاريح الإنجيلية عن معرفتنا اللـه بطريقة شخصية "[٢٢].

ماذا عنا نحن المسيحيين الأرثوذكس .... ما الذي يجعل المسيحيين الإنجيليين يقولون عنا: " الأرثوذكسية ...؟ تقريباً كلها خرافات، أنا أُصلي من أجلهم ليصبحوا مسيحيين مولوديين ثانية، هم يحتاجون أن يعرفوا يسوع كمخلصهم الشخصي ".

هل يتكلمون عن جهل أم عن حق؟! إلى أي مدى إيماني بيسوع شخصي؟ هل أحاول أن أجعله شخصياً لأطفالي وأصدقائي وزملائي في دائرة الكنيسة؟.

ارتباط التعليم اللاهوتي بالعلاقة الشخصية:

نحن لا نتعلم عن يسوع فقط بل نتقدم لمعرفته بطريقة شخصية، وهكذا نأتي لاختبار القوة الحية لحضوره في حياتنا. أحياناً بعض اللاهوتيين ينشغلون جداً بالكلام في علم اللاهوت حتى أنهم لا يختبروا أبداً موضوع تعليمهم اللاهوتي. نحتاج أن ندمج تعليمنا اللاهوتي بروحانية يومية من خلال علاقة يومية شخصية مع

---

[22] "Eastern Orthodox Christianity." D.B.Clendenin.Baker Books. 1994.

يسوع. نحتاج أن نتقدَّم من دراسة علم اللاهوت إلى حياة التمجيد. آباء الكنيسة يقولون: " اللاهوتي هو الشخص الذي يُصلي بحق، والشخص الذي يُصلي بحق هو لاهوتي "، فاللاهوتي هو شخص له علاقة صلاة شخصية مع الله تحيا في شركة شعب الله أي الكنيسة.

نحن لا يجب أن نسمح لأصدقائنا البروتستانت الإنجيليين أن يسرقوا منا ما كان لنا دائماً، كمسيحيين أرثوذكس، أي علاقتنا الشخصية اليومية مع يسوع كرب وإله.

علاقة تُولد في الكنيسة:

العلاقة الشخصية مع المسيح أساسية لكنها لا تنمو على الأشجار، فهيَ لا تحدث هكذا بطريقة ما بينكم وبين الرب يسوع بل هيَ تُولد وتتغذى وتنمو في الكنيسة. **إن لم تثبت هذه العلاقة الشخصية مع الرب يسوع في الكنيسة - جسد المسيح الحي - وإن لم تتغذَّ على الأسرار والتعاليم الصحيحة للرب يسوع سوف تتدهور إلى غرور متكبر، إلى [عقدة المُخَلَّص] التي فيها ينظر الشخص نظرة سُفلية للآخرين على أنهم غير مُخَلَّصين.** الكنيسة الأرثوذكسية حاولت دائماً أن تحافظ على التوازن بين إيمان الفرد وإيمان الكنيسة - جماعة شعب الله - على مدى الأزمان، فالاثنان لا يجب أن ينفصلا أبداً.

قال الرب يسوع: ***" إن أحبَّني أحدٌ يحفظ كلامي، ويُحبُّهُ أبي، وإليه نأتي، وعندهُ نصنعُ منزلاً "*** (يوحنا ١٤ : ٢٣)، فالرب يُصرِّح بكل وضوح بأنه إن أحببنا الله وحفظنا كلمته سيجعل بيته فينا. إذا كان الله قد جَعل بيته حقاً فينا فكيف لا نحوز على علاقة يومية شخصية معه من خلال الصلاة والتأمل والصمت والأسرار وقراءة كلمته؟ كيف يمكننا أن لا نتمتع ونتذوق حضوره كل يوم؟.

نحتاج أن نسجد بشكل نادم كل يوم بين يدي الآب لنجعله يُعانقنا - مثل ما عانق الأب ابنه الضال - ولنضع أذاننا ونحن ساجدون على صدره ولنستمع بدون مقاطعة إلى نبض حبه، فالحياة الأبدية تبدأ الآن بعلاقة شخصية مع الرب يسوع.

ديانة الخزين البارد:

أحد الأشخاص جاء بما دعاه " ديانة الخزين البارد ".

في ديانة الخزين البارد:

- أنت تعتقد بأن الله موجود، ولكنك لا تعبده.
- أنت توافق بأن يسوع مات وقام من الأموات، ولكنك لا تتبعه.
- أنت لا تتعارض بالضرورة مع تعاليم الإنجيل، ولكنك تتجاهلها.
- أنت لا تنكر بأن كل الخيرات عطية من الله لكنك تصرف مالك كما تريد وتعطي القليل أو لا شيئاً للصدقة وعمل الرب.

بكلمات أخرى، علاقتك بالسيد المسيح في ثلاجة، مثل جثة في مستودع الجثث.

القديس مار يوحنا سابا (الشيخ الروحاني):

قابل ديانة الخزين البارد هذه مع هذا التأمل الشخصي جداً لمار يوحنا سابا (من الآباء السريان من القرن السادس) عن حياة السيد المسيح:

" إحمله في حضنك مثل مريم أُمّه.

أُدخل مع المجوس لتقدم له هداياك.

خذه من سمعان الشيخ حتى تحمله أنت أيضاً على ذراعيك.

كن هناك عندما يحول الماء لخمر لتملأ الأجران.

إرفع الحجر من قبر لعازر حتى تتعلم ما هيَ القيامة من الأموات.

ضع رأسك مع يوحنا الحبيب على صدره حتى تسمع دقات قلبه التي تنبض بالحب للعالم كله.

خذ لنفسك لقمة من الخبز الذي كسر خلال العشاء الأخير حتى تتحد بجسده وتثبت فيه إلى الأبد.

أُخرج معه إلى جبل الزيتون حتى تتعلم منه العبادة وانحناء الركب إلى أن يتساقط عرقك مثل عرقه.

إنهض يا أخي، لا تتضجر بل إحمل الصليب كوقت الرحيل، أبسِط يديك معه للمسامير ...

إنهض باكراً والظلام باق. إذهب إلى القبر لتشاهد القيامة العجيبة.

إذهب مع الآخرين إلى مكان مُعتزل، وانحني لتتقبل البركة الأخيرة قبل صعوده.

اجلس في العِلِيَّة لكي ما تلبس قوة من الأعالي من خلال الألسنة المُنقسمة ".

الذي كان يسوع يحبه:

بدت لي وكأنها إهانة مُضاعفة قبل أيام، عندما استلمت رسالة عليها علامة " سري وخاص " ومعنونة هكذا: إلى الساكن! ... أليس هذا بالضبط طابع هذا العصر الآلي اللا شخصي، الذي نُخاطب فيه بشكل مجهول بالحاسب الآلي ونُعرَّف برقم. محبة الله ليست هكذا بل هيَ شخصية بشكل فريد.

على سبيل المثال، يكتب يوحنا الرسول عن يسوع: ***" الله لم يَرَهُ أحَدٌ قطُّ. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خَبَّرَ "*** (يو ١ : ١٨). فالعلاقة الشخصية والحميمة جداً - علاقة الحب بين الله الآب والله الابن - عبّر عنها بهذا التعبير الجميل: أن يسوع موقعه " في حضن الآب ".

في العشاء الأخير عندما كان الرُّسل مُجتمعين حول المائدة مع يسوع ***" كان مُتكئاً في حضن يسوع واحدٌ من تلاميذه، كان يسوع يُحبُّهُ "*** (يو ١٣ : ٢٣). هذا التلميذ الذي كان يسوع يحبه هو يوحنا. العلاقة الحميمة للحب الذي يوجد بين الآب والابن في الثالوث الأقدس، هيَ الآن مُكررة بين الله في شخص يسوع وواحد منا مُمثلاً في شخص يوحنا الرسول (الذي هو في حضن يسوع).

يسوع يريد أن تكون لكل منا علاقة وثيقة معه كعلاقته بأبيه، كما أن يسوع " في حضن الآب " هكذا أيضاً الله الآب يريد أن نكون - أنا وأنت - " في حضن يسوع "، إلى هذا النوع من العلاقة الشخصية الحميمة مع الله - علاقة المحبة والمَودَّة - يدعونا الله من خلال الصلاة والإفخارستيا ودراسة الكلمة.

التلميذ الذي " كان يسوع يحبه " ليس فقط هو يوحنا أو لعازر بل كل واحد منا. هذا الموقع - في حضن يسوع - محفوظ ليس فقط ليوحنا بل أيضاً لك ولي عندما ننمو في إيماننا ومحبتنا ليسوع. لا يستطيع شخص أن ينال مكانة أكثر شخصية من أن يكون في حضن يسوع. كيف يصل الشخص إلى هناك؟ من خلال الصلاة والإفخارستيا، وحياة التوبة، ومن خلال علاقة شخصية مع يسوع.

يسوعي My Jesus:

الأب جون باول Fr.John Powell يصف علاقته العميقة الشخصية مع يسوع فيقول:

" أنا أريدك أن تعرف وتحب **يسوعي**، أقول **يسوعي** مع أنه في الواقع ليس ملكي الخاص. أقول **يسوعي** لأنه هو يسوع الذي أعرفه، يسوع الذي هو صديقي الأفضل ورفيقي الدائم. كل يومي وحياتي محادثة جارية مع يسوع هذا، إن أمكن للآخرين أن يفحصوا عقلي سيندهشون قائلين: " أنه يتكلم طوال اليوم مع أحد ليس موجود في الواقع " ولهم سوف أجيب: " هو موجود وظاهر فقط لأعين وآذان وعقل وقلب الإيمان "، هو قال أنه سيتخذ له مقراً أقامه في أولئك الذين يثقون به ويحبونه، وأنا أثق به وأحبه.

هل تصدِّق أن لي وليسوع في الواقع ألقاب nicknames كل منا للآخر؟ أسماء خاصة لصداقة خاصة. هذا هو يسوع الذي أريد أن أشاركه معك. هذا هو ما شعر به المسيحيون الأوائل: " نريدكم أن تعرفوا يسوعنا "، فلذلك كتبوا قصة حياته - الإنجيل - لأنهم أرادوا أن نعرف يسوعهم.

القديس يوحنا الرسول يبدأ أول رسائله هكذا: **" أريد أن أخبركم عن ما رآته عَينيَّ وما سمعته أُذنيَّ وما لمسته يَديَّ. أريدكم أن تعرفوا يسوعي "**، الأناجيل نفسها قُصِد بها رسم صورة إيمانية ليسوع، كانت فعلاً صورة تولدت من الإيمان. الطريق الوحيد لمعرفة يسوع هو أن تؤمن به، فنحن نستطيع أن نعرفه فقط بحسب قدر إيماننا به. طبعاً الأناجيل ليست تاريخ موضوعي، فالبشيرون لم يكن مُمكناً لهم أن يكتبوا تاريخاً موضوعياً عن شخص أحبوه جداً - فلا أحد يقدر أن يكتب تاريخ موضوعي عن والدته مثلاً - فيسوع كان حياتهم ورجاءهم وهم أرادوا أن يشاركوه هو وليس أنفسهم مع العالم كله "[٢٣].

مهما كانت التضحية التي نقدمها ليسوع ضخمة، نحن لا نقدمها - لأي شيء بارد - كواجب أو فرض أو اتباع قانون، بل نحن نقدمها لأعز صديق لنا. نحن نقدمها لربنا ومُخلصنا يسوع الغالي. أي شيء نعمله له، أي تضحية، أي حِمل نحمله، أي ثمن علينا أن ندفعه، ليس هو في الحقيقة تضحية بالمرة بل هو امتياز الحياة الأعظم.

---

[23] From a video program , "Jesus As I know Him."

العقائد مُغلّفة في شخص:

عند موت لعازر، قالت مريم للرب يسوع: ***" يا سيد، لو كنت ههنا لم يَمت أخي "... قال لها يسوع: " سيقوم أخوكِ "***، أجابت عندئذ مرثا: ***" أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة، في اليوم الأخير "***. مرثا آمنت بعقيدة القيامة لكن يسوع في الحال جعل العقيدة شيئاً شخصياً قائلاً: ***" أنا هو القيامة والحياة "*** (يوحنا ١١). عندما نأتي لنرى أن كل ما نسميه عقائد مغلفة في شخص الرب عندئذ تصبح دراستنا للاهوت حياة تمجيد، تمجيد دائم مثل ما يُصلي به الرهبان على الدوام قائلين: **المجد لك يارب** .(Doxa si o Theos...)

أختم هذا الباب بكلمات دانيال كلندين (Daniel B. Clendenin):

" اللـه ليس مُجرد شيء فائق السمو غير مُدرَك وغير مفحوص، بل هو أيضاً الشخص المُلازم الذي يجب اختباره مُباشرة كما أكد القديس غريغوريوس بالاماس وسمعان اللاهوتي الجديد. كيرلس الأورشليمي كان مُحقاً عندما لاحظ أن اللـه كهدف للدراسة العلمية واللـه كموضوع علاقة شخصية لا يمكن أن ينفصلا: **" طريق التقوى يشتمل الاثنين معاً: عقيدة صحيحة وممارسة للفضيلة، اللـه لا يقبل عقائد بدون أعمال حسنة، ولا يقبل أيضاً كلمات ليست مستندة على عقائد صحيحة "**. فللأرثوذكسية علم اللاهوت الحق يتضمن ليس فقط سعة معرفة عقلية بل خبرة روحية مع اللـه الحي. هذا الفهم يقدر أن يصحح نماذج الغرب في عِلم اللاهوت الذي ينصرف ليكون مُجرَّد تركز التفكير الأكاديمي على أفكار مقترحة "[٢٤].

---

[24] "Eastern Orthodoxy : A Western Perspective." D.B.Clendenin. Baker Books. Grand Rapids,MI.1994

الباب السابع

الصلاة لقاءٌ شخصي

لكي يكون هناك صلاة

يجب أن يكون هناك بالتحديد علاقة شخصية مع الله الحي

القديس إفاغريوس يدعوها "مُحادثة"

الصلاة لقاءٌ شخصي:

ما هيَ الصلاة؟ إنها لا شيء أكثر من علاقة حب مُستمرة مع الله - الآب والابن والروح القدس.

القديس ثيوفان يوضِّح كيف تكون الصلاة شخصية عندما يكتب: " أن عمل الله بسيط .... إنه صلاة .... أطفال يتحدثون إلى أبيهم بدون أي حذق "، فكيف يتكلم الأطفال مع والديهم؟ ... هل تجريدياً بشكل غير شخصي؟ .. طبعاً لا بل بطريقة شخصية جداً: " بابا! ماما! "، ألم يُعلمنا الرب يسوع أن نصلي لأبينا السماوي بطريقة شخصية مُستخدماً كلمة (آبا) Abba التي تعني بابا؟.

طبيب نفسي مسيحي يشهد:

د. بول تورنير Dr Paul Tournier - طبيب نفسي سويسري - يخبر عن كيف حصل على إحدى اكتشافات الحياة العظمى. اعتاد أن يزور قس كبير السن وكان القس لا يدعه ينصرف دون أن يُصلي معه. كان يذهل من البساطة المتناهية لصلاة هذا الشيخ. كانت صلاته تبدو تكملة لمحادثة حميمة كان يجريها هذا الشيخ البار على الدوام مع يسوع.

يكمل د. بول قائلاً: " عندما عُدت إلى البيت تحدثت عنها مع زوجتي، وطلبنا من الله سوياً أن يعطينا نحن أيضاً هذه الشركة القريبة مع يسوع التي لهذا القس، ومُنذُ ذلك الحين صار الرب يسوع لي مركز ولائي ورفيق السفر. فهو يهتم ويُسر بما أنا فاعله ***" اذهب كل خبزك بفرح ... لأن الله منذ زمان قد رَضِيَ عملك "*** (جا ٩ : ٧). هو صديق يمكنني أن أناقش معه كل شيء يحدث في حياتي، هو يشاركني فرحي وألمي وأيضاً آمالي ومخاوفي. هو يكون هناك عندما يتحدث إليَّ مريض من أعماقه ويستمع إليه معي بل وأفضل مني، وعندما يغادر المريض يمكنني أن أتكلم عنه معه ". هنا يكمن جوهر الحياة المسيحية.

دردشة شعبية:

تمتعت دائماً بالمشـــهد في مسرحية " عازف كمان على السقف " (Fiddler on the roof) الذي فيه يقول تيفي (Tevye):

" عزيزي ربنا، أنت عملت كثير ... كثير ... كثير من الناس فقراء، وأنا عارف أنه شيء غير مخجل أنه يكون الواحد فقيراً، لكن هو أيضاً شيئاً غير مُشرِّف. فما الذي يجعله فظيعاً جداً يارب لو كنت أمتلك ثروة صغيرة؟ ".

نحن نبتهج بهذه المشاهد الروائية التي نرى فيها الإنسان في دردشة شعبية مع الله. أليس مُرنِّم المزامير يفعل نفس الشيء بشكل ثابت وهو يتحدث مع الله؟.

" صلاة يسوع " صلاة شخصية:

ما هيَ ممارستنا الأرثوذكسية لصلاة يسوع إلا " اتصال حميم لخطاة تائبين مع الفادي " كما قال الأب جورج فلورفسكي (Fr.George Florovsky). ممارسة صلاة يسوع هيَ جزء من علاقتنا اليومية الشخصية مع يسوع.

عندما يُصلي راهب صلاة يسوع في التقليد الأرثوذكسي، يحني رأسه إلى الصدر أو القلب بما يدل على أنه في الصلاة ينحدر مع عقله إلى قلبه ليجعل صلاته ليسوع شخصية، فهو يدخل إلى حضور الله ليس فقط بعقله بل أيضاً بقلبه، فهو بالتمام والكمال حاضر شخصياً أمام الله.

من خلال صلاة يسوع ندخل في اتصال مع المسيح القائم، هو يحيا ويعيش في عقلنا وقلبنا وفي تنفسنا أيضاً، وخلال هذه الصلاة " القلب يبتلع الرب والرب القلب "، خلال صلاة يسوع ندخل في علاقة شخصية مع الله، أرواحنا وأنفسنا وأجسادنا تأتي لتختبر إله السلام والمحبة بطريقة شخصية للغاية عندما يُصلي القلب، متنفساً بشكل متناغم قائلاً: **" يا ربي يسوع ابن الله ارحمني أنا الخاطئ ".**

أحد قديسي الكنيسة قال: " السماء هيَ الله والله في قلبي ". خلال صلاة يسوع يكون الله بالفعل في القلب والقلب يصبح سماءً. تُعد واحدة من المآسي الضخمة في حياتنا لو لم نختبر ذلك الحضور، وإيماننا بالتالي لا يصبح بالفعل حقيقياً لنا، وذلك على الرغم من أن الله يريدنا أن نختبر حضوره، من أجل ذلك جاء المسيح، ولهذا تألم ومات وقام، ولهذا أرسل لنا الروح القدس ليكون دائماً حاضراً لنا بطريقة حميمية وشخصية حقاً.

صلاة يسوع أيضاً يُشار إليها بصلاة القلب لأنها تخرج من أعمق وأخص مكان في كياننا، من مركزه ... من القلب.

شخصي بشكل حميم:

لكي تفهم كيف أن صلاة يسوع صلاة شخصية بشكل حميم ركز في هذه الكلمات لإيرما زالسكي (Irma Zaleski):

" لماذا عندما نصلي صلاة يسوع نقول: " ارحمني أنا الخاطئ؟ "، لماذا " أنا " وليس " نحن "، ألا يَجب أن نطلب الرحمة لكل شخص؟ ألا يَجب علينا أن نُصلي من أجل الكنيسة كلها؟ ... نعم بالطبع، لكن كل صلاة تُعتبر حقاً صلاة للكنيسة. فخارج عن الكنيسة - جسد المسيح - صلاتنا لا تعني شيئاً. نحن لا نستطيع أن نصلي صلاة يسوع خارجاً عن الكنيسة. لكن لكونها صلاة توبة - صلاة خاطيء - يجب أن تكون أيضاً صلاة كل شخص منفرداً ... **يجب أن نحقق سلامنا الفردي مع الله، نجد علاقتنا الخاصة معه، نقابله وجهاً لوجه، فلا أحد يستطيع أن يفعل ذلك عنا** "[٢٥].

ولذلك نحن نصلي من القلب قائلين: **" يا ربي يسوع ارحمني أنا الخاطي ".**

ترنيمة الأكاثستس[٢٦] ليسوع الحلو:

إن كنت ترغب أن ترى كيف تكون حقاً الصلاة شخصية وحميمة جداً، أشير عليك بترنيمة الأكاثستس ليسوع الحلو كما ترتل في الكنيسة الأرثوذكسية (اليونانية) استمع لبعض المقتطفات من هذه الخدمة:

" عندما أشرق نور حقك في العالم ... الضلال الشيطاني ابتعد بعيداً، لأن الأصنام - أيُّها المُخلص - سقطت عاجزة أن تتحمل قوتك، لكننا نحن الذين نلنا الخلاص نصرخ نحوك:

---

25 "Living the Jesus Prayer" I.Zaleski . White Horse Press. 1993.

٢٦ كلمة " الأكاثستس " تعني باليونانية: " الذي لا يجلس فيه ".

يا يسوع ... الحق المُبدِّد كل كذب.

يا يسوع ... النور الفائق كل نور.

يا يسوع ... الملك المتفوِّق على الكل في القوة.

يا يسوع ... اللـه الثابت في الرحمة.

يا يسوع خبز الحياة ... اشبعني أنا الجوعان.

يا يسوع ينبوع المعرفة ... انعشني أنا الظمآن.

يا يسوع كساء السرور ... إكسِني أنا العريان.

يا يسوع ملجأ الفرح ... استرني أنا الغير مستحق.

يا يسوع يا مَن تُعطي لكل مَن يسأل ... اعطني حزناً على آثامي.

يا يسوع يا مَن تُوجِد لكل مَن يطلب ... لتَجِد روحي.

يا يسوع يا مَن تفتح لكل مَن يقرع ... افتح قلبي المُتحجِّر.

يا يسوع فادي المُذنبين ... إغسل عني آثامي.

يا يسوع ابن اللـه إرحمني.

عندما سمعك الرجل الأعمى - أيها الرب - عابراً في الطريق صرخ قائلاً: **يا يسوع ابن داود إرحمني**، وأنت قد دعوته وفتحت عينيه، أنر عيون قلبي الروحية، أنا أيضاً بحسب رحمتك، عندما أصرخ نحوك قائلاً:

يا يسوع .... خالق الذين في السماء.

يا يسوع .... فادي الذين على الأرض.

يا يسوع .... قاهر القوة السفلية.

يا يسوع .... مُجمِّل كل مخلوق.

يا يسوع .... مُعزّي روحي.

يا يسوع .... مُضئ عقلي.

يا يسوع .... مُفرّح قلبي.

يا يسو ع .... صحة جسدي.

يا يسوع .... مُخلصي خلصني.

يا يسوع .... نوري نورني.

يا يسوع .... من كل عذاب انقذني.

يا يسوع .... خلصني أنا الغير مُستحق.

يا يسوع ابن اللـه ارحمني.

ياربي يسوع المسيح الكثير الرحمة اقبلني أنا المُعترف بآثامي - أيها السيد - وخلصني يا يسوع، واختطفني من الفساد يا يسوع.

يا يسوع الحلو ... خلصنا.

يا يسوعي، لا يوجد أحد كان مُسرفاً ضالاً مثلي أنا الشخص الحقير، يا يسوع مُحب البشر خلصني أنت بذاتك يا يسوع.

يا يسوع الحلو ... خلصنا ".

مُرنِّم المزامير:

الصلاة يجب أن تكون شخصية، فكيف تكون غير ذلك وهيَ محادثة بين شخصين متحابين. لهذا السبب نجد مُرنِّم المزامير يُصلي بطريقة شخصية:

- ***" التصقت نفسي بك "*** (مزمور ٦٣ : ٨).
- ***"عطشت إليك نفسي"*** (مزمور ٦٣ : ١).
- ***" كما يشتاق الإيِّلُ لمجاري المياه، هكذا تشتاق نفسي إليك يا اللـه "*** (مزمور ٤٢ : ١).
- ***" أحبك يارب، يا قوَّتي. الربُّ صخرتي "*** (مزمور ١٨ : ١).
- ***" نفسي فى يديك كل حين "*** (مزمور ١١٩ : ١٠٩).
- ***" أُبارك الرب فى كلِّ حينٍ. دائماً تسبيحه فى فمي "*** (مزمور ٣٤ : ١).

الحق هو شخص:

إن الحق للمسيحيين الأرثوذكس ليس فكرة مُجرَّدة بل شخص، هو المسيح. المسيح نفسه يقول: ***" أنا هو ... الحق "*** (يو ١٤ : ٦). والمسيح الذي هو الحق هو في نفس الوقت الحياة، وهو أيضاً الطريق الذي فيه نحن مدعوّون أن نحيا ونمشي يومياً من أجل أن نعرف الحق، الحق شخصي والحياة شخصي. ***" أنا هو الحق "*** قال يسوع: ***" أنا هو الحياة "*** . الحق المُطلق هو كائن شخصي يُدرَك بالحب.

القديس سلوان:

يكتب الأرشمندريت صُفروني Archimandrite Sophrony عن القديس سلوان قائلاً:

" ظهورات المسيح لسلوان كانت تتم في لقاء شخصي وهذا بفضل أنه اكتسب اقترابه من اللـه بطابع شخصي عميق. تحدث مع اللـه في الصلاة وجهاً لوجه. **الشعور بكون اللـه شخصي يُحرِّر الصلاة من الخيال والمجادلة النظرية، ناقلة كل شيء داخل مركز خفي لاتحاد داخلي حي.** في هذا التركيز الداخلي تكف الصلاة عن أن تكون " صراخ في الفضاء "، والعقل يصبح كله انتباه وانصات. سلوان وهو يدعو الاسم القدوس - الآب، الرب والألقاب الأخرى - كان باستمرار مُستغرق في حالة **" لا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها "**، لكن كل من اختبر بنفسه حضور اللـه الحي سوف يفهم "[٢٧].

تعالـــوا إلـيَّ:

كتب أحد الأشخاص عن يسوع:

- عندما قال للتعابى ***" تعالوا إليّ "*** أنا أعلم أن المُخلص كان يحدثني أنا.
- عندما صلى في بستان جثسيماني كانت تلك القطرات - العرق مع الدم - تتدفق من أجلي أنا.
- عندما ثقبت الحربة جنبه، وذاق الألم المُبرح، عندما مزقت المسامير يديه، تألم من أجلي أنا.
- عندما عُلق إلى الموت على هذه الشجرة وصرخ: ***" يا أبتاه اغفر لهم "***، كان يتشفَّع من أجلي أنا.
- أنا مُتأكد أنه يجلس الآن عن يمين الآب ينتظرني أنا - بالرغم من أنني لا أستطيع إدراك ذلك!.

---

[27] "St Silouan the Athonite." Archimandrite Sophrony. Stavropegic Monastery of St. John the baptist. Essex, England. 1991.

بما أن الصلاة هيَ شخصية جداً، يجب أن لا نتردد في أن نأتي للـه عفوياً:

- عندما نكون على وشك فقد أعصابنا ... نُصلي: صبرك يارب.
- عند شعورنا بالوحدة ... نُصلي: حضورك يارب.
- عند شعورنا بالقلق ... نُصلي: سلامك يارب.
- عندما نُجرَّب بأفكار شهوانية ... نُصلي: نقاوتك يارب.

الأم تريزا كتبت عن علاقة البابا يوحنا بولس الثاني الشخصية بالرب الآتي: " هو دائماً مؤيَّد بإيمان عميق، يتغذي على الصلاة المتواصلة، جسور في رجاء غير متزعزع، يحيا في عمق المحبة مع اللـه ". نحن أيضاً إن تأيدنا بصلاة شخصية عميقة، سنجد أنفسنا في محبة عميقة مع اللـه.

من الممكن أن علاقتنا باللـه تصبح شخصية بشكل حميم، حتى أن صلاتنا لا تعد تحتاج التعبير باستعمال الكلمات. الأسقف كاليستوس يؤكد هذا عندما يكتب: " ... لم تعد الصلاة بهذا التعريف مجرد طلب أشياء، ومن الممكن فعلاً أن توجد بدون استعمال أي كلمات على الإطلاق، فهيَ لم تعد نشاطاً مؤقتاً بل حال مستمر. أن تصلي أي أن تقف أمام اللـه، أن تدخل في علاقة مباشرة وشخصية معه، أن تعرف على كل مستوى من كيانك - من الغريزي إلى الفكري ومن اللا شعور إلى الشعور - أنك في اللـه وأن اللـه فيك.

لكي نُثبت ونُعمِّق علاقتنا الشخصية مع الآخرين من البشر، ليس ضرورياً أن نُقدِّم طلبات بشكل مُستمر أو حتى نستعمل كلمات، بل كلما ازدادت معرفتنا ومحبتنا للآخر يقل الاحتياج للتعبير بشكل لفظي عن موقفنا المتبادل. هكذا أيضاً تكون علاقتنا الشخصية باللـه "[٢٨].

---

[28] "The power of the Name ." Kallistos Ware.S.L.G.Press .Oxford,England.1974.

تكلم مع اللـه قلباً لقلب:

الطريقة الحميمة والشخصية جداً التي تكلم بها الرب يسوع مع اللـه الآب ألهمت الواعظ الفرنسي الشهير فنلون Fenelon، لكي يكتب هذه الكلمات، مُشجعاً إيَّانا أن نتشبه به عندما نُصلي:

" قل له كل ما هو في قلبك كما يفرغ شخص ما في قلبه لصديق عزيز. قل له عن مشاكلك حتى يُريحك، قل له عن أفراحك حتى يوقرها، قل له عن أشواقك حتى يُنقيها، قل له عن مضايقاتك حتى يُساعدك أن تقهرها، تحدث معه عن تجاربك حتى يحميك منها، أظهر له كل جروح قلبك حتى يشفيها. عري أمامه كل حيدانك عن الصلاح، أذواقك المنحرفة للشر ... عدم استقرارك. إن سكبت هكذا أمامه كل ضعفاتك، احتياجاتك ومشاكلك، فلن يكون هناك نقص في ما تقول، لن تستنزف أبداً هذا الموضوع، لأنه يتجدَّد بشكل مستمر.

الأشخاص الذين ليس بينهم أسرار لا يحتاجون أبداً لمواضيع تحادث، بل هم يتكلمون عفوياً، فليس هناك ما يجب إخفاؤه، ولا هم يبحثون عن كلام يُقال. هم يتكلمون معاً من فيض قلوبهم، بدون تنميق، فقط ما يجول في تفكيرهم. **مباركون هم الذين يحققون مثل هذا الاتصال الوثيق مع اللـه بلا تكلف أو تحفظ** ".

إجابتنا: أُلفة ومحبة شخصية:

لا يمكن أن تكون هناك علاقة حقيقية مع الرب يسوع العريس بدون هذا النوع من الأُلفة والمحبة الشخصية، فكل الحياة يجب أن تكون شركة عميقة معه من عمق إلى عمق، صداقة واتحاد دائم الامتداد بيننا وبين يسوع العريس.

مار افرام السرياني يتكلم عن الجسد والقلب كغرفة عرسية للمسيح العريس. يجب أن تحقق محبتنا له يومياً في الصلاة ودراسة كلمته والأسرار المُقدَّسة خصوصاً سر الإفخارستيا الذي من خلاله نصير بحق واحداً معه، سر الإفخارستيا هو حقاً الاحتفال العرسي الذي فيه العريس القدوس يتزوج الكنيسة العروس، وبهذا السر نصير لحماً من لحمه وعظماً من عظامه (تكوين ٢ : ٢٣).

أحد الشباب الأذكياء تعب من قراءة قصص وقت النوم لأخته الصغيرة، فقرَّر أن يُسجِّل بعض قصصها المُفضَّلة على شريط. قال لها: " الآن تستطيعي أن تسمعي قصصك في أي وقت تريدين، أليس ذلك عظيم؟ ". نظرت أخته للجهاز للحظة ثم أجابت: " لا ... ليس له حضن ".

كلنا نحتاج حضناً. نحتاج لتقارب العلاقة. نحتاج أن نعرف أننا محبوبون محبة عميقة وشخصية.

علاقة شخصية يومية مع يسوع تمكننا من الجلوس في حضنه كل يوم.

مَذبح القلب:

آباء الكنيسة اعتبروا دائماً أن القلب هو المكان الفعلي للصلاة. سباستيان Sebastian Brock يكتب:

" أحد سمات القلب دوره الليتورجي الدّاخلي: هو المذبح بداخل مقدس الهيكل المشكل بالجسم (١ كو ٦ : ١٩)، وعلى هذا المذبح يَجِبُ أنْ تقدم ذبيحة الصلاة الداخلية بشكل مستمر. فكرة أن الصلاة ذبيحة شيء مألوف من العهد القديم (مز ١٤١ : ٢)، بينما عند السريان نص بشكل مُحدَّد أن القلب هو المكان الذي ينبغي للصلاة أن تأخذ مكانها فيه (Syriac Bible Sir 39:5). فنجد عند القديس أفراهاط ومارافرام السرياني أن القلب هو مكان ذبيحة الصلاة استناداً على مت ٦ : ٦ (***ادخل إلى مخدعك وأغلق بابك***)، ونجد ذلك أيضاً في تفسير هذه الآية عند أوريجانوس وأمبروسيوس. في كتاب سلم السماء تعبير " مذبح القلب " يظهر بشكل بارز، نجد في هذا العمل مفهوماً لليتورجية ذا ثلاثة أبعاد، التي يجب أن تأخذ مكاناً في آنٍ واحد: في الكنيسة المرئية على الأرض، وفي كنيسة قلب الفرد المسيحي، وفي الكنيسة السماوية "[٢٩].

---

[29] "The Syriac Fathers on Prayer and the Spiritual Life." Sebastian Brock. Cistercian Publ. 1987.

القديس نيقوديموس يدعو القلب " **ملجأ** "، ومار إسحق يدعوه " **بيت الفهم** "، فمثل الحيوان إذا انزعج وخاف يجري ليحتمي في وكره، هكذا أيضاً عقل الإنسان عندما ينزعج يجري للقلب ويصيح: " يا يسوعي ساعدني، يا يسوعي خلصني "، وهكذا يتحرَّر "[٣٠].

دخول مَذبح القلب:

القديسة سينجلتيك St. Syngletike تحثنا أن نُبخِّر مذبح القلب " ببخور الصلاة المقدس، فكما تُطرَد المخلوقات السَّامة ببعض السموم القوية، هكذا تُطرَد أيضاً الأفكار الشريرة بالصلاة ".

القديس يوحنا كاسيان يحثنا على الدخول بكثرة إلى المقدس الداخلي - مذبح القلب - فهو يقترح ترديد صلوات قصيرة، وبسبب قوة الصلوات نتجنب تشتت الفكر فيكتب:

" نحن نصلي في غرفتنا الداخلية عندما نسحب قلبنا بالكامل من صخب أفكارنا وهمومنا، وبنوع من الحوار السري - كالذي بين الأصدقاء القريبين - نكشف رغباتنا أمام الرب ".

القديس يوحنا ذهبي الفم يُذكرنا أنه يجب أن تكون الصلاة صادرة لا من الفم بل من القلب:

" بالصلاة أنا لا أقصد التي في الفم فقط بل الصلاة التي تنبع من أعماق القلب. تماماً كمثل الأشجار التي لها جذور عميقة لا تتحطم ولا تُقتلع من العواصف، هكذا أيضاً الصلوات الصادرة من أعماق القلب - التي لها جذورها هناك - ترتفع للسماء بثقة كاملة، ولا تُطرَح خارج المسار عند اعتداء أي فكر، ولهذا السبب قال المزمور: ***" من الأعماق صرخت إليك يارب "*** (مز ١٣٠ : ١) ".

---

[30] "Nicodemos of the Holy Mountain." Translated by Peter A. Chamberas. Paulist Press. 1989.

القديس ثيوفان الناسك يشرح كيف أن الله يستجيب للصلاة الشخصية بشعور أكيد من الدفء فيقول:

" عندما تؤسس حياتك في إنسانك الداخلي بتذكر الله المُستمر، حينئذٍ المسيح الرب سوف يدخل ويسكن في داخلك. الاثنان (جهادك ونعمة الله) يَعمَلان معاً. وإليك هذه العلامة التي بها تكون واثقاً أن هذا العمل المجيد قد بدأ في داخلك، سوف تختبر شعوراً أكيداً بالدفء نحو الرب، وإن أكملت كل شيء مُقرَّر فهذا الشعور سوف يبدأ في الظهور أكثر فأكثر، ومع الوقت سيصير مستمراً. **هذا الشعور لذيذ وطوباوي ومن بداية ظهوره يحثنا على أن نطلبه ونشتهيه لئلا (إن تهاوننا) يترك القلب، ففيه تذوق الفردوس** ".

قال أحد الأشخاص: " دعوة الله لحياة البرية هيَ بالتحديد دعوة للصلاة، دعوة لديالوج مع الله شخص لشخص ".

الباب الثامن

التفاعل الشخصي مع أسرار الكنيسة

"كل إنسان منا هو الشخص الذي من أجله

سَفك المسيحُ

تلك القطرة من الدم بالذات"

بليز باسكال

Blaise Pascal

التفاعل الشخصي مع أسرار الكنيسة:

الأسرار ليست " آلات الخلاص " أو لمسات سحرية تعمل فيك أوتوماتيكياً، بل هيَ بالأحرى لقاءات شخصية مع المسيح في الإيمان.

الأب جورج فلورفسكي Fr. George Florovsky يكتب:

" سر الإفخارستيا يبلغ ذروته في حضور المسيح وفي لقاء المؤمنين الشخصي مع ربهم الحيّ كشركاء في عشائه السري. الحقيقة المُطلقة لهذا اللقاء تـؤكد بشكل قوي في طقس الاستعداد للتناول كما في صلوات الشكر بعد التناول. هذا الاستعداد هو بالتحديد لمقابلة الشخص مع المسيح في السر بشكل شخصي وحميم، ففي كل هذه الصلوات نجد التوكيد الشخصي مهيمن وسائد. **هذا اللقاء الشخصي للمؤمنين مع المسيح هو الجوهر الأساسي للحياة التعبدية الأرثوذكسية** "[٣١].

يقول الكاهن مُردِّداً كلمات الرب: " خذوا ... كلوا ... جسدي المكسور لأجلكم ... اشربوا منه كلكم ... دمي المسفوك لأجلكم ". فلأجلك الجسد المكسور ... لأجلك الدم المسفوك ... لغفران خطاياك ولحياتك الأبدية. دعوة الرب المُقدمة لنا في الإفخارستيا هيَ بكل وضوح دعوة شخصية.

كنيسة آدم:

هناك تقليد جميل ينص على أن آدم دُفِنَ في نفس مكان الجلجثة حيث صُلِب المسيح، كان هناك آدم أول من اعتمد في الماء والدم المُتدفّق من جنب المسيح على الصليب (يو ١٩ : ٣٤). كثير من أيقونات يسوع المصلوب تُظهر الماء والدم مُتدفّقاً من جسد يسوع على جمجمة آدم المرسومة تحت الصليب، وبالتالي أول مَنْ أخطأ هو أول مَنْ تطهَّر ولبس رداء بر الله، ولهذا السبب الكنيسة الأورثوذكسية اليونانية إلى هذا اليوم تحتفظ بكنيسة صغيرة في أورشليم فوق الموقع المُحدَّد الذي صُلب فيه المسيح، وتدعو هذه الكنيسة: كنيسة آدم. لكي يصل إليها الشخص يتسلق سُلِماً من الحجارة شديدة الانحدار في كنيسة القيامة، وفجأة يجد نفسه في الجلجثة وحفرة في الصخرة حيث كان الصليب مُثبَّتاً.

---

[31] "Aspects of Church History." G. Florovsky. Nordland Publ. Co. Belmont, MA.

عندما أرى هذه الأيقونة الجميلة للصلب حيث جمجمة آدم في قاعدة الصليب، أحاول دائماً أن أرى نفسي في هذه الجمجمة التي لآدم. أسجد قدام المسيح المصلوب وأُصلي:

" ربي اِجعل الماء والدم الخارج من جنبك ... يتدفق فوقي بشكل مُستمر، الماء ليغسلني من آثامي في المعمودية كما في دموع التوبة التي أذرفها يومياً عن خطاياي. والدم المسفوك من أجلي والمُقدَّم بكل سخاء في الإفخارستيا، لكي يجلب لي حضورك يومياً لمغفرة الخطايا وحياة أبدية ".

فقط عندما نضع أنفسنا في أيقونة الصلبوت تصبح ذات معنى لنا، لأنه لأجلي هو مات ... ولأجلي عُلّق على الصليب.

بليز باسكال Blaise Pascal يكتب: " كل إنسان منا هو الشخص الذي من أجله سفك المسيح تلك القطرة من الدم بالذات ".

الأسقف " وير " يكتب: " الأسرار شخصية، هيَ وسائل عن طريقها نعمة الله تُخصص لكل مسيحي بشكل فردي "[٣٢].

سر الإفخارستيا ... فعل شخصي:

في سر الزيجة لا يصبح أي طرف متزوجاً إلا إن تقدم بالموافقة قائلاً: نعم (I do)، هكذا أيضاً في ارتباطنا بالرب قلنا لعريسنا يسوع: نعم في سر المعمودية. هذا الحب يتحقق بشكل مستمر في سر الإفخارستيا الذي من خلاله ليس فقط نلتصق بجسد الرب بل نمتزج به. نحن نصبح ليس مجرد جسد واحد معه بل روحاً واحداً.

القديس غريغوري بالاماس يكتب:

" آه أيها التناول المُقدَّس الفائق الوصف والمُتعدد الجوانب، السيد المسيح صار أخاً لنا، فهو يشترك معنا في اللحم والدم، جعلنا أصدقاءه، يمنحنا بالنعمة أسراره المقدسة، ربطنا بشخصه، ووحَّدنا معه كما يوحّد العريس العروس مع نفسه، خلال هذه الشركة - شركة دمه - يصير جسداً واحداً معنا، وصار لنا أباً بواسطة المعمودية المُقدَّسة، وهو أيضاً يُغذينا كما تُغذّي الأم المُحبة طفلها ".

---

[32] "The Orthodox Church ." T. Ware. Penquin Books. Baltimore, MD.1963.

سر الإفخارستيا هو حضورنا الشخصي في العشاء الأخير. هو لقاؤنا الشخصي مع المسيح الحيّ، فهناك نقابله وندعوه إلى داخل أرواحنا. كل مرة نشترك في سر الإفخارستيا نأكل من شجرة الحياة (الأب متى المسكين).

فخلال الإفخارستيا نحن نكون حاضرين شخصياً في العشاء الأخير ... نفس السيد الرب حاضر. نفس الخبز ... نفس الكأس ... نفس الذبيحة ... نفس العلِيَّة... نفس الروح القدس... نفس العنصرة.

عندما نتناول جسد الرب ودمه نسمع اسمنا يُذكر: " خادم الله فلان يتناول الجسد والدم الثمين الذي لربنا ومُخلصنا يسوع المسيح لمغفرة الخطايا وحياة أبدية ". أمر مُفرِح لنا أن نسمع اسمنا كل مرة نتناول من سر الإفخارستيا، وتأكيد على أن الله يعرفنا بالاسم وأنه يحبنا بطريقة شخصية جداً، يستطيع كل واحد منا أن يسمع ويفهم ذلك.

علاوة على ذلك، صلوات الإفخارستيا كلها شخصية جداً فنُصلي:

- " لتكن شركة أسرارك المُقدسة لا للحكم عليَّ أو لإدانتي، أيها الرب، بل لشفاء الروح والجسد ".
- " أنا أؤمن، أيها الرب، وأعترف أنك بالحقيقة ابن الله ... ".

علاقة قريبة ... متريثة ... وثابتة:

" إنسانٌ صنع عشاءً عظيماً ودعا كثيرين، وأرسل عبده في ساعة العشاء ليقول للمدعوّين: تعالوا لأنَّ كل شيء قد أُعِدَّ " **(لو ١٤ : ١٦ ، ١٧).**

تعالوا ... لماذا؟ تعالوا لأن العشاء الآن قد أُعِدَّ!، الكلمة اليونانية المُستخدمة للعشاء هيَ deipnon وهيَ هامة لأنها تخبرنا عن نوع العلاقة التي يرغب الرب يسوع أن يؤسسها معنا عندما نأتي إليه. شعب اليونان قديماً كانت عنده ثلاث وجبات في اليوم، وجبة الفطور akratisma التي لم تكن أكثر من قطعة خبز مُجفف تغمس في النبيذ، ووجبة نصف النهار ariston التي كانت ببساطة وجبة نزهة خفيفة تؤكل بجانب الطريق أو تحت شجرة، والوجبة المسائية deipnon التي كانت الوجبة الرئيسية لليوم، وكان الناس يتباطأون طويلاً في هذه الوجبة، فعمل اليوم قد تم ولا يوجد ما يستدعي السرعة وهناك الكثير للتحدث عنه.

وبالتالي حقيقة أن يسوع في الإفخارستيا يدعونا لمأدبة عشاء deipnon، تصف مدى العلاقة القريبة المتريثة الثابتة الشخصية والحميمة التي يرغب الرب أن يؤسِّسها مع كل واحد منا.

الدعوة إلى وجبة هيَ دعوة إلى الأُلفة معه. هذا على وجه الخصوص حقيقي في دعوة العشاء الأخير حينما نُصلي شخصياً ونحن نتقدَّم للتناول:

" لعشائك السري يا ابن الله اقبلني اليوم كمتناول، فإني سوف لا أتكلم بالسر لأعدائك، ولن أعطيك قبلة غاشة كالتي أعطاها لك يهوذا، لكنني أعترف بك كما اعترف اللص قائلاً: اذكرني يارب في ملكوتك.

كيف أتقدَّم إلى بهاء قديسيك أنا الشخص غير المُستحق؟ كيف أتجاسر وأدخل غرفة العُرس؟ ثوبي يفضحني فإنه ليس ثوباً للعُرس، وسأُطرَد - كما بقفزة واحدة - من قِبَل الملائكة. اغسل يارب أدناس روحي. خلصني يارب فأنت صديق البشر.

أنا لست أهلاً أيها السيد والرب أن تدخل تحت سقف نفسي، لكن حيث أنك صديق البشر وتريد أن تسكن فيَّ، فإنني بكل ثقة أقترب. لتأمر ... وسأفتح الأبواب - التي أنت وحدك صممتها - على مصراعيها، حتى ما تدخل بحبُّك المتناهي للبشر، وتنير فكري المظلم.

ليكن لي جسدك المُقدَّس أيها الرب يسوع المسيح إلهنا للحياة الأبدية، وليكن دمك الثمين لغفران خطاياي، وليكن لي هذا السر المُقدَّس للفرح والصحة والبهجة. وفي مجيئك الثاني المخوف اِجعلني أنا الخاطيء مُستحقاً أن أقف عن يمينك في مجدك، بشفاعات والدتك كلية الطهر وجميع مصاف قديسيك آمين ".

سر المعمودية ... فعل شخصي:

كما أن سر الإفخارستيا هو حضورنا الشخصي في العشاء الأخير، هكذا سر المعمودية هو جلجثة شخصية وقيامتنا الشخصية ... أو عبورنا Pascha . نحن نغطس في ماء المعمودية كما لو كنا نغطس في الموت ونصعد منه لجدة الحياة. نحن نموت مع المسيح ونقوم معه، موته يصير موتنا وقيامته تصير قيامتنا.

تُعبِّر صلوات الكنيسة بوضوح عن حقيقة أن المعمودية هيَ قيامتنا الشخصية فبعد قراءة إنجيل القيامة في الآحاد الشعب يُصلي: " نحن قد رأينا قيامة المسيح ".

القديس سمعان اللاهوتي الجديد يرى أن الصلاة لا تقول: " نحن قد آمنا بقيامة المسيح " بل قد رأينا ... بمعنى " أن قيامة المسيح تحدث في كل مؤمن ". هكذا نحن نختبر شخصياً قيامة المسيح بدءاً بالمعمودية، وبالنعمة يرفعنا عن طريق التوبة إلى جدة الحياة. يومياً نموت معه عن الخطية ويومياً نقوم معه لجدة الحياة.

نحن قد خُطبنا شخصياً للمسيح العريس في المعمودية. دخلنا في علاقة ارتباط معه، علاقة تتطلب منا محبة وإخلاص، والتحدي أمامنا كمسيحيين أرثوذكس هو أن نقدم اعترافاً شخصياً يقظاً متأنياً لإيماننا بشخص الرب يسوع، وأن نستمر في تجديد هذا الاعتراف في كل قداس ونحن نعترف بإيمان معموديتنا من خلال قانون الإيمان النيقاوي.

القداسة إذن شخصية، فهيَ تتحقق بالعلاقة اليومية الشخصية مع يسوع خلال الصلاة وكلمته والأسرار المقدسة.

في المعمودية أُعطيت اسماً جديداً ودخلت في علاقة شخصية مع المسيح. هو يعرفني بالاسم وهو يقول: ***" أنا ... أعرف خاصتي وخاصتي تعرفني، كما أنَّ الآب يعرفني وأنا أعرف الآب "*** (يوحنا ١٠ : ١٤ ، ١٥).

الصلاة تجعل نعمة المعمودية شخصية:

تعليقاً على العلاقة التي تربط بين الصلاة والمعمودية، القديس غريغوري السينائي يكتب: " الصلاة هيَ إظهار المعمودية "، والأسقف " وير " يُعلِق على هذه العبارة فيقول:

" للأغلبية الساحقة ... المعمودية شيء ما تم قبوله في الطفولة بحيث لا نجد له ذكرى واعية. فمع أن السيد المسيح المُعمَّد والباراقليط الساكن فينا لم يتوقف لحظة واحدة أن يعمل في داخلنا، لكن معظمنا ـ باستثناء فرص نادرة ـ يبقى في الواقع غافلاً عن هذا النشاط والحضور الداخلي. الصلاة إذن تفيد إعادة اكتشاف وإظهار نعمة المعمودية. أن تصلي أي أن تعبر من حالة حضور النعمة في قلوبنا بشكل سري وغير واع إلى حد إدراك داخلي كامل ووعي يقظ، وذلك عندما نختبر ونشعر بنشاط

الروح بشكل مباشر وفوري. أو بحسب كلمات القديس كاللليستوس[٣٣] والقديس إغناطيوس (القرن ١٤): " **هدف الحياة المسيحية هو الرجوع للنعمة الكاملة التي للروح القدس - مُعطي الحياة - التي أنعمت علينا في البداية في المعمودية المقدسة** "[٣٤].

طبقاً لهذه الكلمات، حضور الرب يسوع والنعمة المُنعمة علينا في المعمودية، تصير ظاهرة ومُدركة فينا عندما نُصلي. تنفجر في داخلنا لتجعل حضور الله نشطاً وحقيقياً في حياتنا، فهكذا كلما نُصلي أكثر كلما نبدأ بشعور واختبار الحضور العمادي لله بطريقة شخصية.

استجابة شخصية مطلوبة:

كما أن محبة الله لكل واحد منا هيَ محبة شخصية، هكذا يجب أن تكون محبتنا له محبة شخصية، لهذا السبب **تحتاج المعمودية إلى استجابة شخصية من جانب الطفل المُعمَّد عندما ينمو لسن الرشد، الطفل يجب أن يقبل ما عمل الله له في المعمودية، فالمعمودية ليست ترخيصاً مُقدساً يوصلنا للسماء أوتوماتيكياً.**

قال د. نيكوس (Dr. Nikos Nissiotis): " المسيحي المُعمَّد - خصيصاً في الكنائس التي تمارس معمودية الأطفال - يحتاج أن يتخذ قراراً شخصياً بخصوص الإيمان المسيحي الذي توارثه بشكل سلبي من بيئته المسيحية ".

الأب " ثيؤدور (Fr. Theodore Stylianopoulos) " كتب:

" عندما يكبر الطفل المُعمَّد من الطفولة إلى البلوغ وهو يشترك في حياة الكنيسة السرائرية، فإنَّ استجابته الشخصية لله تصبح أمراً حاسماً. كل مسيحي يجب

---

[33] القديس كاللليستوس بطريرك القسطنطينية. عاش راهباً ناسكاً في جبل آثوس مدة ٢٨ عاماً ثم أعتلى كرسي القسطنطينية عام ١٣٩٧م، اشترك مع زميله القديس اغناطيوس في وضع كتاباً من عشرة أبوبة عن حياة الهدوئيين، ضم في بعض النسخ إلى الفيلوكاليا.

[34] "The power of the name." Bishop Kallistos of Diokleia. S.L.G. Press.Fairacres Oxford.1974.

أن يعيد تأكيد عهد معموديته شخصياً ويقول للمسيح بنفسه وباختياره الحُر: نعم، أنا لك. التجديد الروحي يتحقق من هذا التعهد الراشد للمسيح، والشركة في الإفخارستيا، والصلاة اليومية، والجهود المُخلصة، لكي نحيا نوع الحياة التي عاشها المسيح وأوصانا بها ".

" ديادوكوس (Diadochus of Photike) " كتب:

" عندما يُعمَّد الناس، **النعمة تخفي حضورها إلى أن تتخذ النفس قراراً، وعندما يتجه الإنسان بكامله إلى الرب حينئذٍ تكشف النعمة حضورها للقلب برقة لا توصف** ".

الأب " جون ميندورف (Fr. John Meyendorff) " كتب عن أهمية التعهد الشخصي الذي ينبغي أن يحدث في حياة المسيحي بعد المعمودية:

" قيل لنا في الإنجيل أن التعليم الديني يتضمن قبولاً ايجابياً للمسيح. هذا هو التغيير الحقيقي. لو أن هذا الارتباط الإتحادي لم يأخذ مكاناً في وقت ما أثناء حياة الإنسان المسيحي، فهذا الإنسان يُعدّ ببساطة إنساناً غير مسيحي. نجد هذا المعنى واضحاً جداً في تقليد الآباء. فما الذي يجعل الإنسان المسيحي مسيحياً سوى هذا التعهد الشخصي للمسيح. **انتساب الشخص الشكلي للكنيسة خلال المعمودية والمشاركة السرائرية الأخرى تظل مجرد إمكانية لو أن التعهد الشخصي لم يحدث.** الهبات السرائرية التي للمعمودية والتناول وسائر الأسرار هيَ أساسية لعضوية موضوعية في جسد المسيح، لكن مرة أخرى هذه الهبات مجرد إمكانيات لو لم تؤخذ بجدية ولو لم يتم تغيير القلب والعقل في وقت ما في حياة الشخص ".

سر الميرون .. عنصرتنا الشخصية:

كما أن المعمودية هيَ جلجثة شخصية وبصختنا (عبورنا) الشخصية، هكذا الميرون هو عنصرتنا شخصية. الأسقف " وير " يكتب:

" ما حدث للمسيحيين الأوّلين في يوم الخمسين يحدث أيضاً لكل واحد منا بعد معموديتنا مباشرة، فنحن في الممارسة الأرثوذكسية نمسح بالمسحة أو الميرون.

فسواء كان المعتمد طفلاً أو بالغاً، فإن الكاهن يمسحه على جبهته، وعينيه، وأنفه، وفمه، وأذنيه، وصدره، ويديه، وقدميه وهو يقول: " ختم موهبة الروح القدس "، هذا المسح هو عنصرة شخصية لكل واحد منا، فالروح الذي نزل بشكل منظور على الرسل في ألسنة من نار ينزل - دون أن يقل نزوله قوة أو حقيقة - على كل واحد منا بطريقة غير منظورة، فكل واحد يصير " ممسوحاً "، " مسيحاً " على مثال يسوع ... من لحظة معموديتنا ومسحتنا، الروح القدس يأتي مع المسيح ليسكن في عمق أعماق قلبنا، ورغم أننا نقول للروح: " تعال "، إلا أنه موجود في داخلنا من قبل "[٣٥].

عندما نصلي صلوات الساعات، كل يوم في وقت الساعة التاسعة صباحاً (حيث تم حلول الروح القدس على التلاميذ) نحن ندعو نفس الروح القدس ليأتي ويحل فينا.

نحن نعلم أن علاقتنا بالله علاقة أبدية، فهيَ لن تنتهي مثل العلاقات الأخرى، ولهذا السبب يجب أن تكون علاقتنا علاقة حية وشخصية وعميقة مع الشخص " الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي ".

صلوات الساعات:

طريق آخر لتعزيز علاقتنا اليومية الشخصية مع الله هو بصلوات الساعات كل يوم. الكنيسة زرعت الصلوات في كل يوم بتقسيم اليوم للساعات التالية من الصلاة [٣٦]:

صلاة باكر (٧ ص):

عند بزوغ الشمس نتذكر الرب يسوع نور العالم، ونُصلي من أجل الإرشاد أثناء اليوم:

---

[35] "The Orthodox Way." K. Ware. SVS Press . Crestwood,N.1979.

[٣٦] ما يلي هو سرد مُبسَّط لصلوات الساعات بحسب ترتيب الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية، ويلاحظ للقارئ القبطي مدى تقارب ترتيب صلوات الساعات بين الكنيسة اليونانية والقبطية.

- يارب يارب، النهار والليل هما لك. أنت صنعت النور والشمس، وحدَّدت حدود الأرض.
- اجعل رحمتك العظيمة تشع على بؤسنا مثل نور الفجر. حرِّرنا من الظلمة ومن ظلال الموت، ونجِّنا من فخاخ وهجمات الشرير.
- ***" هذا هو اليوم الذي صنعه الرب فلنفرح ولنبتهج به ".***

صلاة الساعة الثالثة (٩ ص):

ساعة العنصرة. نشكر الله لإرساله الروح القدس يوم الخمسين، ونُصلي من أجل حضور الروح معنا خلال اليوم:

- أيها الرب يا مَن أرسلت روح قدسك على تلاميذك القديسين في الساعة الثالثة، لا تنزعه مِنَّا أيها الصالح لكن جدِّده في أحشائنا.
- ***" قلبا نقياً اخلق فيَّ يا الله، وروحاً مُستقيماً جدِّده في أحشائي. لا تطرحني من قدام وجهك، وروحك القدوس لا تنزعه مني ".***

صلاة الساعة السادسة (١٢ ظهراً):

نتوقف هنا في لحظة صلبه لنشكره على محبته العظيمه لنا:

- أيها الرب يا مَن صُلِبت من أجلنا في وقت الساعة السادسة، اغفر لنا من أجل محبتك العظيمة.
- ***" أمام صليبك ننحني بالسجود أيها السيد، ولقيامتك المُقدَّسة نُمجِّد ".***

صلاة الساعة التاسعة (٣ م):

نتذكر الرب الذي أسلم الروح من أجلنا في هذه الساعة:

- أيها الرب يا مَن حطمت قوة الموت بموتك في الساعة التاسعة، اجعلنا أهلاً لنشترك في نصرتك والحياة الأبدية.
- ***" كأس الخلاص آخذ وباسم الرب أدعو ".***
- ***" الرب نوري وخلاصي مِمَّن أخاف ".***

صلاة الساعة الثانية عشرة (٦م):

نتذكر والشمس تغرب والظلمة تقع علينا أن يسوع جاء ليكون ***" نور إعلان للأمم "*** (لو ٢ : ٣٢) فنُصلي:

- تفضَّل يارب أن تحفظنا في هذه الليلة بغير خطية. مُبارَكٌ أنت أيها الرب إله آبائنا ومُتزايد بركة، واسمُك القدوس مملوءٌ مجداً إلى الأبد.
- ***" الآن يا سيدي تطلق عبدك بسلام حسب قولك، لأن عينيَّ قد أبصَرتا خلاصك ".***

صلاة المساء (٩ م):

تتضمَّن الصلوات التي تُقدَّم بعد العشاء:

- تذكر يارب خُدامك المُنتقلين (ونذكر أسماءهم). امنحهم راحة حيث لا يوجد مرض ولا حزن ولا تنهد بل حياة أبدية.
- ***" معونتي من عند الرب الذي صنع السماء والأرض ".***

صلاة قبل النوم:

- في يديك أستودع روحي.
- ***" أعطِني أن أنظر ملكوتك كل أيام حياتي ".***

الباب التاسع

السِّمَة الشخصية
للروحانية الأرثوذكسية

"بنقاء أيها المُخلِّص . . . أذرف دموعاً من عيناي
وأنينا من أعماقي . . . صار خاً من قلبي :
أنا أخطأت في حقك أيها الرب . . . كن رحيماً معي"

قانون القديس أندرو

السمة الشخصية للإيمان والصلاة كما تظهر في العبادة والروحانية الأرثوذكسية:

عن وعود الله وكيف أنها شخصية يكتب الأب ألكسندر شميمن (Fr.Alexander Schmemann):

" الإيمان بالتأكيد هو: اليقين الداخلي بأن ما قاله المسيح وفعله إنما قاله لي وفعله من أجلي، وأن الزمن والمسافة لا تقدران أن يفصلاه عني. لا يفصله عني شيء سوى قلة إيماني ونسياني وتعدياتي الكثيرة "[٣٧].

أشارككم هذه الصلاة الخاصة التي كتبها أحد رهبان الكنيسة الشرقية: " أيها الرب يسوع المسيح إلهنا، كما بكيت على لعازر، وذرفت دموع الحزن والعطف عليه، اِقبل هذه الدموع المُرَّة مِنِّي.

بآلامك اشفِ آلامي، بجراحاتك طيّب جراحاتي، بدمك طهِّر دمي، وأُنشر على جسدي عطر جسدك المُعطي الحياة.

المرارة التي قدموها لك أعداؤك، تجعل روحي تتخلص من المُر الذي سكبه عليها العدو وتجلب لها الحلاوة والتعزية.

يا ليت جسدَكَ المُمَدَّد على خشبةِ الصليب يجعل عقلي يطير نحوك، عندما يحاول الشيطان أن يجذبه لأسفل.

يا ليت رأسك التي مالت على الصليب، تَرفع رأسي كلما قبلت الإهانة من الأعداء.

يا ليت يديك المقدَّسة المُسمَّرة على الصليب، تجذبني نحوك إلى فوق من هلاك الهاوية - بحسب وعدك الأمين (يو ١٢ : ٣٢)[٣٨].

يا ليت وجهك الذي كثيراً ما أصيب بلطمات وبصاق الرجال القساة، يجعل وجهي يضيء ثانية بعد أن تشوَّه من جرَّاء الخطيئة.

يا ليت روحك التي أسلمتها في يدي الآب على الصليب تقودني إليك بنعمتك.

ينقصني قلب ينوح ويبحث عنك، يعوزني روح التوبة والندم، الروح التي تعيد الأبناء إلى ميراثهم.

---

[37] "Celebration of Faith,. Vol. 1." A.Schmemann. SVS Press. Crestwood, NY .1991.page17

[٣٨] " وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع " (يوحنا ١٢ : ٣٢).

لا أستطيع البكاء أيُّها الرب، فعقلي مغشي عليه باهتمامات أرضية، ولا يستطيع أن يقود تركيزه في الحزن.

قلبي قد اكتسب برودة من كثرة التجارب، ولا يقدر أن يُدفئ نفسه بدموع المحبة نحو شخصك.

لكن أنت أيُّها الرب يسوع، يا كنز البركات، امنحني توبة تامة وقلباً حزيناً حتى أكرس ذاتي لأتبعك بكل قوتي.

بدونك لا أستطيع أن أفعل شيئاً حسناً، أعطني نعمتك أيُّها الشخص الكريم، وليُجدِّد فيَّ الآب الذي وَلَدَك مُنذُ الأزل من حضنه، سمات صورتك وشبهك ".

صلاة مثل هذه ليست استثنائية. هيَ تنبع من قلب له علاقة شخصية عميقة مع الرب. ألم يعدنا الرب يسوع: ***" مَن آمَنَ بي ... تجري من بطنه أنهارُ ماءٍ حيٍّ"*** **(يو ٧ : ٣٨).**

قانون القديس أندرو:

قانون القديس أندرو هو مَثل آخر يوضِّح كيف أن الصلاة الأرثوذكسية وخدمات العبادة شخصية. إدرس بعضاً من ترانيم هذه الخدمة وسوف ترى كيف أن الأُسلوب الشخصي سائد:

" لا توجد خطيئة في الحياة، لا فعل ولا شر، لم أفعله أنا أيُّها المُخلص، بالذهن وبالقول، عن نية وعن قصد، وبالفكر وبالفعل. أنا أخطأت كما لم يفعل أحد من قبل.

في الليل قضيت على الدوام حياتي. كان لي ليل الخطيئة ظلاماً وضباباً كثيفاً. لكن أيُّها المُخلص أظهر لي كيف أكون ابن نهار.

بنقاء أيها المخلص، أذرفُ دموعاً من عيناي وأنيناً من أعماقي، صارخاً من قلبي: أنا أخطأت في حقك أيها الرب، كن رحيماً معي.

يا نفسي يا نفسي، إنهضي لماذا أنتِ نائمة؟ النهاية قد اقتربت وأنتِ سوف ترتبكين. لهذا قومي حتى ما يصفح عنكِ المسيح الإله - الذي هو حال في كل مكان ويملأ كل الأشياء.

نحن قد أخطأنا وتعدَّينا وسلكنا بغير استقامة أمامك، لم نلاحظ ولم نفعل بحسب وصاياك لكن ياإله آبائنا لا تتخلَّ عنا إلى النهاية.

المسيح صار إنساناً، مُنادياً بالتوبة للصوص والزناة، يا نفسي توبي فباب الملكوت الآن مفتوح. فريسيون وعشَّارون اغتصبوه قبلك، وزناة تابوا.

أرتدي رداء الخزي كأوراق شجرة التين، نتيجة لعار أهوائي العنيدة.

أرتدي رداء العار الذي بكل خزي ملطخ بدم، نتيجة لجريان حياة الأهواء والشهوة فيَّ.

قد غصت تحت ثقل الأهواء وفساد الأمور المادية، ومن ثم العدو الآن يهاجمني بعنف.

محبة في الأشياء المادية فضلت أن أحيا حياتي في حب الممتلكات - أيها المخلص - وتركت حياة الحرية، وأنا الآن مُعلق بطوق ثقيل.

زينت صورة الجسد بأفكار مُخجلة، والمعطف بألوان كثيرة. أنا مُدان.

وبجهد سعيت لتزيين الخارج فقط، محتقراً تزيين الخيمة الداخلية لتكون على مثال الله.

أفسدت بالأهواء صورة الجمال الأولى أيُّها المُخلص، وحالي كحال الدرهم المفقود، فلتفتش عنه ولتجده.

أخطأت مثل الزانية، أصرخ إليك، أنا وحدي قد أخطأت في حقك. ومع هذا أيُّها المُخلص اقبل دموعي كمُر.

أصرخ إليك مثل العشار كن رحيماً معي. أيُّها المُخلص كن رحيماً معي، فليس هناك ابن لآدم أخطأ كما أخطأت أنا في حقك ".

المشاركة الشخصية في القداس الإلهي:

وسيلة أخرى لتعميق إيماننا وجعله واقعياً أكثر، هيَ في المشاركة بشكل شخصي في الليتورجية. نحن لسنا مُجرد متفرجين في القداس، فالقداس الإلهي نفسه يدعونا للاشتراك الشخصي.

الأب " ستانلي (Fr.Stanely Harakas) " يُوضِّح أهمية اشتراكنا في القداس حينما يكتب: " نص القداس يُشجِّع مشاركة العابد بطريقة ملموسة ومحددة. بل من

الممكن أن نقول أن نص القداس يتوسَّل، ويحتاج، ويطلب المشاركة، وبدون هذه المشاركة قدر كبير من غناه يظل مُغلقاً بالنسبة لنا "[٣٩].

يكمل الأب حديثه فيذكر على الأقل عشرة وسائل مُحدَّدة للمشاركة بشكل شخصي في القداس. طبعاً أهم هذه الوسائل هو التناول من جسد الرب ودمه. هذا فعلاً لقاء شخصي للغاية بين المسيح والمتناول، كما يوضح في صلاة قبل التناول.

ثم يكمل الأب حديثه فيُبيِّن أن الطلبات في القداس موجهة من الكاهن (أو الشماس) ليس لله بل للمُصلين: " الكاهن أو الشماس يُخاطبان الشعب. تقود الليتورجية المؤمن للصلاة بينما تُقدِّم في نفس الوقت محتوى الصلاة: سلام العالم، استقرار الكنيسة، وحدة المؤمنين ... الخ. ترتيل " كيريى ليسون يارب ارحم " ممكن أن يُرَى على أنه يفيد الموافقة، لكن لو دققنا نجد أنَّ هذا ليس استجابة لتعليمات القداس بالصلاة من أجل السلام والاستقرار والوحدة، **فالاستجابة الوحيدة المناسبة للمُصلي المُشارك هيَ في الحقيقة أن يُقدِّم صلاة بكلماته الخاصة** حتى ما تصير كل هذه الطلبات أوَ بعضها مواضيع لصلاة منطوقة بشكل شخصي. أحد الطرق هو ببساطة أن يُعيد صياغة الطلبة وتوجيهها لله كصلاة: " يارب امنح السلام للعالم أجمع، وامنح أيضاً استقراراً ووحدة لكنيستك "، هذا ممكن أن يتم في هدوء وسرعة أيضاً، حتى يمكن للمُصلي أن ينضم مع الشعب في ترتيل كيريى ليسون ".

عند الصلاة من أجل " المرضى والمتألمين "، نستطيع أن نُصلي بالاسم من أجل المرضى الذين نعرفهم. وعند الصلاة من أجل " سلام العالم " نستطيع أن نُصلي من أجل البعيدين الذين يحتاجون إلى المصالحة، وهكذا. فإن كان الكاهن يقودنا للصلاة من أجل السلام ومن أجل المرضى والمعوزين ... الخ ونحن لا نستجيب لهذه الطلبات، إذن فلا أحد يُصلي. **اشتراكنا الشخصي أمر حاسم.**

---

[39] "The Melody of Prayer." S.Harakas. Light and Life Publishing Company. Minneapolis,MN.1979. page 15.

وسائل أخرى للاشتراك الشخصي في القداس: ترتيل ألحان القداس، والإنصات اليقظ لقراءات الكتاب المقدس، ورشم علامة الصليب، والصلاة الربانية، وقانون الإيمان، وصلاة التقدم للتناول ... الخ. القداس يصير حياً عندما نستجيب لندائه بالمشاركة فيه بشكل شخصي.

قانون الصلاة اليومي:

الكنيسة أعطت لنا ما يُعرَف بالقانون اليومي للصلاة لتساعدنا على تنمية وتعميق علاقتنا الشخصية اليومية مع الله. الحكمة من وراء قانون الصلاة اليومي هيَ أن يخصص الشخص فترة منتظمة من الوقت كل يوم ويكرسها بكاملها للصلاة، ليوحِّد نفسه بالله.

" أنت لا تستطيع أن تنتظر حتى ما تكون في مزاج مناسب للصلاة، يجب أن تستخدم مهماز قانون الصلاة لتغصب ذاتك على الصلاة "[٤٠].

إنَّ تقليدنا الأرثوذكسي يُقدِّم أيضاً تصوُّراً أساسياً لمحتوى قانون الصلاة اليومي والذي يبدأ بالتوسُّل بِاسم الله، فنرشم علامة الصليب ونقول: " بِاسم الآب والابن والروح القدس، آمين. " ويتبعها صلاة للروح القدس: " أيها الملك السمائي المُعزِّي ... "[٤١]، ويتبعها صلاة الثلاثة تقديسات.

بالطبع هذا هو فقط بداية قانون الصلاة، وممكن أن تستمر وتتضمن قراءة لمزمور، جزء من الإنجيل، قانون الإيمان، بعض الطلبات من الليتورجية، فترة صمت، صلوات خاصة من التسبيح والشكر، تشفع من أجل الآخرين، صلوات إرتجالية، قراءات تعبدية ... الخ. ممكن أن تطول أو تقصر بحسب رغبة المُصلي.

---

[40] "Light in the darkness" by Sergei Fudel. SVS Press. Scarsdale,N.Y.

[٤١] وهي نفس القطع المستخدمة في صلاة الساعة الثالثة في كتاب السبع الصلوات القبطي.

الساعات اليومية للصلاة:

قانون الصلاة ممكن أن يستخدم لصلوات الصباح أو المساء أو لكليهما. أبوك الروحي يقدر أن يُساعدك في إقامة قانون صلاتك الخاص. وأيضاً كتاب صلاة أرثوذكسي ممكن أن يكون مفيداً جداً.

الفائدة الرائعة من استخدام قانون للصلاة هيَ أنها لا تدع يوماً يمضي بدون حديث شخصي مع الله، وبعد زمن قليل الصلاة تصير لك عادة تثريك كل يوم، وتمتد إلى أبعد من مجرد إلقاء صلاة في الطوارئ اليومية. مثل هذا التدريب يجعل علاقتنا الشخصية بالله عميقة وحاملة لثمار روحية.

" ولكِنَّ كلَّ تأديبٍ في الحاضر لا يُرَى أنه للفرح بل للحزن. وأمَّا أخيراً فيُعطِي الذين يتدرَّبونَ به ثمرَ برٍّ للسلام " (عب ١٢ : ١١).

القديس سمعان اللاهوتي الجديد يحكي عن أحد الشباب في القسطنطينية، عندما كان يُمارس قانون صلاته في أحد الأيام، كان مُحاطاً بالبهاء الإلهي. نسي العالم كله وصار واحداً مع نور المسيح. عندما توارت الرؤيا كان مغموراً بالفرح والدَهش، عيناه تذرف دموع الفرح وقلبه مملوء بحلاوة غامرة. القديس سمعان قصَّ هذا الاختبار ليُظهِر أنه من الممكن أن تحيا في العالم ومع ذلك تحقق جوهر الحياة المسيحية: علاقة ومعرفة شخصية مع المسيح الحيّ.

الأب " تشاز بل (Fr. Chas. Bell) " يكتب:

" أحد الفوائد التي وجدتها لأستخدام قانون الصلاة، هيَ أنها تأخذ عني حمل ضرورة أن أكون مجدداً وخلاقاً في كل مرة أصلي. في كثير من المرات لا أشعر بأنني خلاَّقُ أو على وجه التحديد ملهماً. في هذه الأوقات وعن طريق قانون الصلاة أستطيع أن أدخل إلى الفرح والعمق الناتج من استخدام الصلاة الموحى بها بالروح القدس، والتي استخدمها المسيحيون لقرون عديدة.

أنا بدأت بنية أن أُصلي يومياً مرات عديدة، لكن عادةً كنت أستطيع أن أحافظ على الممارسة فقط ما دمت أشعر بالإلهام، وعندما أفقد الشعور بالإلهام الذي قادني للممارسة في بادئ الأمر، فإنني أتوقف بالتدريج عن ممارسة الصلاة.

ولكن باستخدام قانون الصلاة وجدت أنه من الممكن أن أستمر في ممارسة الصلاة اليومية حتى في الأوقات التي لا أشعر فيها بميل للصلاة، **ففي هذه الأوقات عندما لا أشعر بروحانية وبالتالي غير قادر أن أكون تلقائياً في الصلاة، القانون يتيح لي الصلاة بأي حال، ويشمل كل الجوانب التي أريد أن أشملها، ومع الوقت هذه الممارسة الروحية اليومية تحمل ثماراً "**[٤٢].

---

[42] "Discovering the Rich Heritage of Orthodoxy." C. Bell,PhD. Light and Life Publishing Company. 1994.

الباب العاشر

السِّمَة الشخصية

للعقيدة والتقليد المُقدَّس

"التقليد المقدس هو الإيمان الحي للأموات،

التقليد الأعمى هو الإيمان الميت للأحياء"

جروسلاف بليكان

Jaroslav Pelikan

السمة الشخصية لقانون الإيمان والعقيدة والتقليد المقدس:

قانون الإيمان النيقاوي ـ قاعدة إيماننا ـ اتخذته الكنيسة الجامعة ليكون الاعتراف الرسمي للإيمان الأرثوذكسي. كلمة " أؤمن " بالمفرد للشخص المُعمَّد أو النائب عنه في المعمودية هيَ بمثابة اعترافه الرسمي. قانون الإيمان أيضاً هو جزء أساسي في القداس الإلهي الذي بواسطته يُجدد كل شخص رسمياً معموديته وعضويته في الكنيسة. وبالرغم من أن قانون الإيمان كتب أصلاً بصيغة الجمع " بالحقيقة نؤمن " لأنه يُعبِّر عن إيمان الكنيسة الجامعة، إلا أن صيغة المفرد " أؤمن " تستخدم في المعمودية وفي القداس لتُعبِّر على أن إيماننا ينبغي أن يكون أيضاً شخصياً.

القديس بولس في رومية (١٠ : ٩) يقول: ***" إن اعترفت بفمك بالرب يسوع، وآمنتَ بقلبكَ أنَّ اللـه أقامه من الأموات، خلصت "*** ، فكيف نعترف بالمسيح؟ الكنيسة الأرثوذكسية تُقدِّم لنا فرصاً عديدة للاعتراف شخصياً بالإيمان بالمسيح على النحو الذي أشار إليه القديس بولس في رومية. هذا يحدث في صلواتها والألحان وقانون الإيمان وخدمات القداس الإلهي.

قبل التناول نحن نُصلي: " أنا أؤمن يارب، وأعترف أنك أنت هو المسيح ابن اللـه الحي الذي أتى إلى العالم ليُخلص الخطاه الذين أولهم أنا "، مثل هذه الاعترافات تُعد شخصية بشكل عميق.

على سبيل المثال، حينما نعترف في قانون الإيمان: " نؤمن ... بحياة الدهر الآتي "، من الممكن أن نخصص القول باستخدام ضمير الملكية المفرد " أنا أؤمن أن لي في المسيح حياة أبدية ". ففقرات قانون الإيمان إن لم تكن شخصية لا تُعَدّ واقعية بالنسبة لي.

أنا أؤمن:

الغرض من ضمير أنا المُفرد هو تحدي كل واحد منا ليسأل نفسه: أهذا حقاً ما أؤمن به؟ من الممكن أن يكون إيمان أمي، أو إيمان أبي، أو إيمان كاهني، لكن هل هو يخصني؟ هل ممكن أن أزعم أن فقرات الإيمان التي أتلوها كل يوم أحد في قانون الإيمان هيَ تخصني؟ وإن كان الجواب لا فبما أؤمن؟ ... ولماذا؟... وما هيَ حجتي؟.

أهم علاقة في الحياة:

يعتقد البعض من علماء النفس أن الحالة البيئية للأشهر التسعة قبل الولادة تُحدِّد سمات شخصية الطفل في المستقبل، وآخرون يزعمون أن نفس الأهمية تنطبق على السنين الأولى من حياة الطفل بعد الولادة. أمَّا نحن كمسيحيين أورثوذكس نعتقد أن الأهمية تقع على أول كلمتين من قانون الإيمان، فأهم عامل فعَّال في حياة الشخص ليس التسعة أشهر قبل الولادة أو السنين الأولى بعد الولادة بل علاقة الشخص بالله. إن هذه العلاقة هيَ التي تحدد مصيرنا لهذا الزمن وللأبدية. إن هذه العلاقة المهمة جداً التي تظهر في كلمات: " أنا أؤمن " ... " أنا أؤمن " - ليس بالذهن فقط بل أيضاً بالقلب والإرادة - كافية أن تضع كل ثقل حياتي بأمانيها ومخاوفها على يسوع ربي وإلهي.

من أجل خلاصنا:

قانون الإيمان يتكلم بطريقة شخصية عن الخلاص، يقول أنه من أجل خلاصنا نزل يسوع من السماء. عندما نرى منزلاً يحترق في إذاعة تليفزيونية لا نُستثار بدرجة كبيرة، لكن إن رأينا أن هذا البيت الذي يحترق هو بيتنا - هنا القصة تختلف إختلافاً كلياً – فسنُثار بدرجة كبيرة جداً ونفعل شيئاً على الفور فنحن مُلزمين بشكل شخصي.

قال تشسترتون (G.K.Chesterton) : " لا شيء يُعد حقيقياً، إلا عندما يكون محلياً ".

إن كان الخلاص الذي قدَّمه لنا يسوع لابد وأن يحتوي معنى ويكون حقيقياً، يجب علينا أن نصل إلى إدراك أن بيتنا هو الذي يحترق وليس بيت آخر. يجب أن ندرك أننا هم الأشخاص الذين في مأزق ومن هذا المأزق يجب أن نخلص. يجب أن نصير مثل مدمن الخمر أو مدمن المخدرات الذي يدرك أنه صيَّر نفسه سجيناً وأنه في أشد الحاجة لشخص آخر ليخلصه.

ما لم نختبر بشكل شخصي الحاجة إلى الخلاص، فكل هذا الكلام عن المسيح كمُخلِص سيحتوي على معنى ضئيل أو سيكون بلا معنى.

يدين الأحياء والأموات:

عندما نعترف في قانون الإيمان أن الرب يسوع " أيضاً يأتي ليدين الأحياء والأموات " نحتاج أن نتذكر أن هذه عبارة تمثل تعبير شخصي للإيمان، فهي تعني أني سأظهر شخصياً أمام الرب يسوع يوماً ما لأقدِّم حساباً له عن حياتي. ستكون مقابلة شخصية ليس مع البابا أو البطريرك بل مع الرب الإله. هذا يُبين لأي مدى يهتم الله بكل واحد منا شخصياً، ويُبيِّن لأي مدى ما نفعله في الحياة يهمه. في نهاية الحياة سيكون لي مقابلة شخصية مع الرب يسوع عندما يأتي ليدين الأحياء والأموات.

ما تمثله عقيدة الثالوث لي شخصياً:

بعض الناس يعتقدون إلى حد بعيد، أن إيماننا بالثالوث المُقدَّس هو نظري وغير شخصي ... خزعبلات. ليس كذلك إيمان الكنيسة، فهيَ في صلاتها الجميلة للثالوث، تتجلى محبة الله الشخصية والشاملة:

" رجائي في الله الآب.
ملجأي في الله الابن.
حمايتي في الروح القدس.
أيها الثالوث المُقدَّس ... المجد لك ".
هل هذه الصلاة غير شخصية؟

أنا شخصياً أستمد قوة كبيرة يومياً من ترديدي لهذه الصلاة الشخصية للثالوث:

" أنا محبوب من الله الآب ... الذي خلقني من العدم.
أنا محبوب ومفدي من الله الابن ... يسوع الغالي الذي أحبني وبذل نفسه من أجلي.
أنا محبوب من الله الروح القدس وهو يسكن فيَّ، قوة الله وحضوره داخلي.
أيها الثالوث المقدس المجد لك ".

لا يؤمن المسيحيون الأرثوذكس فقط بأن إلهاً موجود، بل يؤمنون أن هذا الإله (الآب، الابن، الروح القدس) على وجه التحديد موجود.

" نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة اللـه الآب، وشركة الروح القدس تكون مع جميعكم الآن وإلى الأبد " ... هذه البركة الرسولية القديمة التي تمنحنا كمال البركة هيَ شخصية للغاية. نحن مدعوون أن نصليها كل يوم: " لتكن نعمة ربنا يسوع ومحبة اللـه الآب وشركة الروح القدس معي ومع جميعنا اليوم وكل يوم ".

كما صلى الرب يسوع من أجلنا هكذا الروح القدس يُصلي فينا: ***" الروح نفسه يشفع فينا بأنّات لا يُنطقُ بها "*** (رو ٨ : ٢٦)، يصلي في داخل كل شخص فينا.

القديس إيرينيئوس يُصوِّر الثالوث القدوس بشكل شخصي بأن اللـه الآب يبسط ذراعيه لنا في محبة، ذراع هو يسوع والذراع الآخر هو الروح القدس. الآب والابن والروح القدس يبلغوا إلينا في محبة. بالتأكيد هذا الحب يتطلب استجابة من كل شخص منا. تجاهل أو رفض هذه المحبة الثالوثية هو بمثابة فقدان كل معنى للحياة.

علم اللاهوت هو علم شخصي:

حتى علم اللاهوت في جوهره شخصي، الأب " ستانيلوي (Fr.D.Staniloae) " اللاهوتي الأرثوذكسي الروماني الشهير يكتب: "علم اللاهوت عطية من اللـه تُقدَّم من خلال سياق خبرة شخصية مع اللـه وأعماله في التاريخ " .

فعلى سبيل المثال، القديس سمعان اللاهوتي الجديد، كان رجل صلاة ونما في إدراك اللاهوتيات ليس من النظريات العقلية بل من خلال علاقة شخصية عميقة.

إيفاجريوس كتب: " اللاهوتي هو الشخص الذي يُصلي بحق. والشخص الذي يُصلي بحق هو لاهوتي ".

لا يستطيع الشخص أن يأتي إلى معرفة اللـه نظرياً أو بطريقة غير شخصية، لأن اللـه شخص، ويستطيع الشخص أن يأتي لمعرفته فقط عن طريق الإيمان واللقاء الشخصي معه في إيمان وصلاة. الشخص يأتي لمعرفته فقط من خلال الاختبار الشخصي مع المسيح وأعماله في تاريخ خلاصنا كما يظهر في الكتاب المقدس والتقليد المقدس. عندما نأتي لنعرف اللـه بهذه الطريقة الشخصية فإنَّ أعماله وآياته وعجائبه ستثمر في حياتنا الخاصة.

" أوليفير كليمنت Oliver Clement " يكتب عن علم اللاهوت والصلاة فيقول: " الصلاة وعلم اللاهوت متلازمان. علم اللاهوت الحق هو العبادة المُقدَّمة من الذهن،

والذهن يوضح حركة الصلاة لكن الصلاة فقط تستطيع أن تعطيه انقاد الروح. علم اللاهوت نور والصلاة نار. اتحادهما يعبر عن الاتحاد بين الذهن والقلب، لكن الذهن هو الذي يجب عليه أن يستريح في القلب، وعلم اللاهوت يجب أن يرفع الصلاة في محبة "[٤٣].

الروحانية صفة شخصية:

الروحانية - والتي قد تبدو مبهمة ونظرية - هيَ تعبير آخر عن علاقتنا الشخصية بالله. فالروحانية في جوهرها حياة **مملوءة بالروح** لشخص ما ... لجماعة ما ... بعض المسيحيين ... بعض القديسيين ... بعض الشهداء، الذين كان لهم علاقة شخصية مع الرب يسوع، وأحبوه وباتحادهم به أثمروا حياة مقدسة، فكل الغرض من الروحانية الأرثوذكسية هو إعادة اكتشاف نعمة المعمودية، وثمار البذور التي زرعها فينا الله في المعمودية، لكي ما نغذي هذه البذور ونساعدها على النمو لحياة مقدسة.

حتى طقوس كنيستنا شخصية يجب علينا أن ننظر إليها هكذا، فمثلاً الشماسان اللذان يحملان الشموع عند قراءة الإنجيل في القداس الإلهي، يُعَبِّران عن حقيقة أن المسيح نور العالم، لكن في الحقيقة المعنى أكثر شخصية، فهو يعني أن يسوع يُقدِّم لي النور من خلال الإنجيل في سيري وعبوري لظلام هذا العالم، فعندما أقرأ كلمته يومياً يكون فعلاً وبشكل شخصي " سراج لرجلي ونور لسبيلي ". الحقائق المُعبِّرة من رموز إيماننا هيَ دائماً شخصية ومعطية للحياة.

الخطيئة شخصية:

كما أن عِلم اللاهوت شخصي، الروحانية شخصية، وطقوس الكنيسة شخصية وحاضرة، هكذا أيضاً الخطيئة شخصية، فالخطيئة ليست مُجرَّد كسر بارد وغير شخصي لوصية، لأن كل خطيئة هيَ خطيئة ضد المحبة. علاقتنا بالله هيَ مثل العلاقة الحميمة بين زوج وزوجة، لذلك الخطيئة هيَ خيانة للمحبة.

---

[43] "The Roots of Christian Mysticism." Olivier Clement. New City Press. 1994.

فعندما نُخطئ لا نكسر فقط وصية بل نكسر قلب الله كما يكسر قلب شريك في الزواج عندما يكون الآخر خائناً، فالخطيئة هيَ خيانة شخصية للمسيح عريسنا. نحتاج أن ننظر إلى الصليب ونقول: " أنا فعلت هذا. خطيتي صلبته ". من غير شعور قوي بالخطيئة الشخصية لا يكون هناك شعوراً بمعصية، وبالتالي لا يكون هناك توبة. داود النبي عبَّر عن ذلك جيداً عندما كتب: ***" إليك وحدك أخطأت، والشر قدام عينيك صنعت "*** (مزمور ٥١ : ٤).

التقليد المُقدَّس شخصي:

التقليد المقدس الذي هو جزء حيوي من إيماننا الأرثوذكسي ليس نظرياً بل شخصياً. الأسقف " وير " يكتب: " التقليد هو أكثر بُعداً من مجرد مجموعة من القواعد النظرية، هو حياة، لقاء شخصي مع المسيح في الروح القدس. التقليد ليس فقط محفوظ بالكنيسة بل هو يحيا في الكنيسة. هو حياة الروح القدس في الكنيسة. هو ليس ساكناً بل فعالاً (ديناميكياً)، **ليس قبول ميت للماضي بل خبرة حية للروح القدس في الحاضر "**[٤٤].

هذا يعني أن الروح القدس يقدر أن يتكلم من خلال كل واحد منا، ليوضح حقائق إيماننا بصورة أفضل، ليحمي ويشارك هذه الحقائق مع العالم.

يكمل الأسقف " كاليستوس وير " فيقول: " تبدو الكنيسة الأرثوذكسية في نظر كثيرين من أهل الغرب في القرن العشرين أنها كنيسة جديرة بالاعتبار بشكل ملحوظ، لأنها تمثل جو التراث القديم والتقاليد المحافظة. إنَّ رسالة الأرثوذكس لإخوانهم الغربيين تبدو هكذا: " نحن ماضيكم "، ورغم ذلك، فإن الولاء للتقليد بالنسبة للأرثوذكس لا يعني بالدرجة الأولى قبول صيغ أو عادات قديمة من أجيال ماضية، بل بالأحرى قبول الجديد الدائم الجدة والاختبار الشخصي والمباشر للروح القدس في الحاضر - هنا والآن ".

---

[44] "The Orthodox way." K. Ware. SVS Press. Crestwood, NY.1979.

تقليـد حـي:

يكمل الأب " وير ": " التقليد يتطلب منا أن ننصت لما قاله الروح لأسلافنا، لكنه يعني أيضاً الإنصات لصوت الروح في يومنا الحاضر ".

كان الأب " فلوروفسكي Fr.Florovsky " يحب التأكيد على أن العصر الرسولي لنا نحن الأرثوذكس غير مُغلق ومنتهي، بل مُمتد ومُستمر لليوم الحاضر، فالروح قادر أن ينشئ في وقتنا الحاضر آباء كنيسة جُدُد وأمهات مُعادلين لقديسي الكنيسة القديمة.

الحارس للتقليد المقدس هو الجسد الكامل للمُعمَّدين ... " الكهنوت الملوكي " أو " الأمة المقدسة " (١ بط ٢ : ٩) بأكملها، ليس فقط الأساقفة وحدهم بل أيضاً جمهور المؤمنين. التقليد شخصي فهو يتضمن كل منا. نحن هم الحراس والمدافعون عن الإيمان، فبحسب الرسالة المعروفة للبطاركة الشرقيين المكتوبة سنة ١٨٤٩: " حراس التقوى هم بالفعل جسد الكنيسة، أي هم الشعب نفسه الذي دائماً سيُحافظ على إيمانه بلا تغيير ".

في الكنيسة الأولى كان هناك احتفال له مدلول كبير، فيه كان يؤتمن جمهور المؤمنين على الإيمان، ويعطون مسئولية فعلية تجاهه. المُرشَّحين للمعمودية عند نهاية تعليمهم كان يُقدّم لهم كلمات قانون الإيمان - قاعدة الإيمان- وهذا الاحتفال كان يُسمَّى " تقليد " أو " تسليم القاعدة "، ثم مُباشرة قبل المعمودية نفسها كان المُتقدِّم يتلو بصوت عال القانون الذي أعطي له. هذا كان يسمى " إرجاع القاعدة ".

بهذه الطريقة يكون قد تمَّ إيضاح أن في المعمودية يُستودَع الإيمان لكل واحد منا بشكل شخصي، وبتلاوته بصوت عال نُعبِّر عن مسئوليتنا الشخصية للمُخلص، أن نحافظ على الإيمان وندعمه وننشره وندافع عنه، وإن كان هناك ضرورة فعلى حساب حياتنا بواسطة شهادة الشهداء.

الرب يسوع قال: ***" وأمَّا متى جاء ذاك، روح الحقّ، فهو يُرشدكم إلى جميع الحق "*** (يو ١٦ : ١٣). إن هذا الوعد الإلهي هو الذي يُشكل أساس الإخلاص

الأرثوذكسي للتقليد المُقدَّس. وهو يشملنا كلنا بشكل شخصي، اكليروس وشعباً على قدَم المُساواة، كأعضاء في جسد المسيح الكنيسة.

الأب " جون ميوندورف (Fr. John Meyondorff) " يؤكد على السِّمة الشخصية للتقليد الأرثوذكسي حينما يكتب:

" أنا أريد أن أؤكد على أن عمل الروح القدس السري الحاضر في الكنيسة هو الحقيقة الأساسية للاختبار المسيحي، وأن هذا الاختبار هو شخصي وحُر، وبالتالي تشخيص الإيمان لا ينتج من كاريزما ذاتية أو فردية، فالكنيسة تحث كل شخص أن يفكر ويعمل كعضو مسئول في الجسد طالباً الحق من خلال شركة القديسين "[٤٥].

---

[45] "Doing Theology Today." Edited by T.E.McComiskey and J.D. Woodbridge. Zondervan Publishing Company. Grand Rapids, MI.1992.

الباب الحادي عشر

الكتاب المُقدَّس كتاب شخصي

"مشبعة هيَ حلاوة الأفكار الروحانية،
تماماً كما أن الأرض التي لا تروى لا تستطيع أن تنتج قمحاً،
حتى لو كانت تحمل في باطنها ألاف من البذور،
كذلك أيضاً النفس لا تستطيع أن تظهر أياً من الثمار الروحية
ما لم تستنر أولاً بالكتاب المُقدَّس.
أيضاً، كما أن الخمر عندما يُشرب يساعد على النسيان ويجلب الفرح،
هكذا أيضا الخمر الروحي يجلب الفرح للنفس"

القديس يوحنا ذهبي الفم

الكتاب المقدس كتاب شخصي:

حلمت امرأة حلماً انتقلت فيه إلى الحياة ما بعد الموت ووجدت نفسها في غرفة مزدحمة مع أناس ينوحون. وفجأة فتح الباب ودخل يسوع وسأل إحدى السيدات:

- ابنتي لماذا تبكين؟.
- أنا أبكي يا سيد لأنَّ زوجي مات عندما كنت في سن صغير، ومن وقتها وأنا ضائعة بدونه. أردت أن أخدمك يا سيد لكنني كنت وحيدة جداً كل هذه السنوات ومُحبطة جداً لفعل أي شيء.
- سأل الرب: لكن ألم تصلك رسالتي؟.
- أية رسالة ... يارب؟ هل كتبت لي رسالة؟.
- قال الرب: نعم ... كتبت لكِ رسالة، وقلت لكِ لا تقلقي، ووعدتكِ إن آمنتِ بي لن أتركِكِ بلا عزاء.
- نظرت المرأة مُتعجِّبة وقالت: أتعلم ... الكاهن قرأ من هذه الرسالة في جنازة زوجي ولكنني لم أعلم أنها رسالة شخصية ... منك إليَّ.

مُتهكم أمام المذبح:

نحن سوف لا نفوز أبداً بالمعنى الكامل للصلب والقيامة ما لم ندرك أن يسوع فعل كل هذا من أجلنا، من أجل كل واحد منا شخصياً.

حدث مرة في يوم الجمعة العظيمة أن ثلاثة مُتهكمين غير مؤمنين بالمسيح أثناء سيرهم في شوارع باريس شاهدوا صفاً طويلاً من الناس ينتظرون أمام الكنيسة من أجل سر الاعتراف، فبدأوا يسخرون من الجمع، وظنوا أن كله مزاح، وتحدوا بعضهم البعض على أن يقف أحدهم في الصف ويدخل ليقول هذا الكلام للكاهن، وأحدهم قبل التحدي، وعندما دخل كرسي الاعتراف قال للكاهن: " كنا نتمشي في الخارج ورأينا هذا الصف من الناس المُنتظر للاعتراف. ونحن نظن أن هذا كله مسرحية هزلية وأنا قبلت التحدي لكي أدخل وأقول لك هذا ". أجاب الكاهن: " ليكن ... لكنني أريدك أن تفعل شيئاً واحداً قبل أن تمضي. أدخل إلى الكنيسة وسر إلى المذبح الرئيسي، وانظر إلى جسد المسيح المُمدَّد على الصليب وقل له: " أنت مُت من أجلي أيها المسيح، وأنا لا أبالي مطلقاً ". أريدك أن تقول هذا ثلاث مرات

وعندئذ تستطيع الانصراف ". تقدم الساخر نحو المذبح ونظر لجسد المسيح وبصعوبة بالغة قال: " أنت مت من أجلي ... " وبسرعة أبتعد. الكاهن نادى عليه قائلاً: " لا .. بل عليك أن تفعل هذا مرتين أخرتين ... أنت وعدت ". بتردد رجع ونظر إلى المسيح ولم يستطع أن يخرج الكلمات، وأخيراً فعل: " أنت مُت من أجلي يا يسوع وأنا ... "، وبسرعة جرى للخلف. أوقفه الكاهن قائلاً: " أنت وعدت مرة أخرى ". بتردد أكثر صعد إلى الصليب مرة أخرى، حدق فيه لوقت طويل في وجع، ورجع للكاهن وقال له: " أيها الأب أنا مُستعد أن أعترف بخطاياي ".

مَن يستطيع أن ينظر إلى المسيح المصلوب ولا يقول: " يا الله إرحمني أنا الخاطئ؟؟ ". **إن الموقف الشخصي من الصليب هو الذي يجعله حقيقياً.**

مات من أجلي:

عَرف القديس بولس الرسول أن محبة الله شخصية، لذلك كتب: ***" ابن الله الذي أحبني وبذل نفسه لأجلي "***. هذا الإله العظيم لبس ثوب الطبيعة البشرية لكي ما يكسينا بثوب القداسة. أخذ شكل العبد لكي ما يطلقني أنا العبد حراً. " أحبني وبذل نفسه لأجلي ". ثم يكمل القديس بولس بأسلوب شخصي عن حياته في المسيح: ***" ما أحياه الآن في الجسد إنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي "***.

" ابن الله ... أسلم نفسه لأجلي "، هو مات من أجل آدم، مات من أجل يهوذا، مات من أجل يوحنا، مات من أجل مريم المجدلية، مات من أجل اللصيْن الذين صُلِبا معه، حتى من أجل اللص قاطع الطريق الذي ظل يلعنه، لكنه مات أيضاً من أجلي وكأن يديه بسطت على الصليب فقط من أجلي. فهو يحبنا - كما قال أغسطينوس - وكأنه لا يوجد غير شخص واحد منا في الكون.

كلمة الله تؤكد لنا أنه حتى لو نسيت الأم رضيعها، الله لا يمكن أن ينسانا، أسماؤنا منقوشة على كفه، محفورة لا تُمحَى في قلبه.

قال الرسول توما: ***" ربي وإلهي "*** وقال الرب يسوع: ***" أذهب لإلهي وإلهكم "***. كم نحتاج كلنا لهذا الاقتناء الشخصي لربنا.

قال الرب: ***" أكون لهم إلهاً، وهم يكونون لي شعباً "*** (٢ كو ٦ : ١٦). نحن شعبه المُختار الذي أحبه محبة لا نهائية، واشتراه لا بفضة أو ذهب بل بدم كريم، دم ابنه الوحيد.

العلاقة الشخصية مع الله هيَ جوهر ديانتنا، ونحن نعلم أن العلاقة تعتمد على الاتصال، فنحن لا نستطيع أن نعرف الناس معرفة حميمية بمجرد تواجدنا في حضرتهم، لكن العلاقة تتطلب محادثة لكي ما تتشارك الأفكار والشخصيات. المسيحيون معنيون باجراء محادثة مستمرة مع الله، فنحن نخاطبه بلغة الصلاة وهو يخاطبنا بلغة الكتاب المقدس.

القديس باسيليوس قال: " إنَّ صوت الإنجيل هو الأكثر روعة عن بقية تعاليم الروح القدس. في التعاليم الأخرى كلمنا الله عن طريق خدامه الأنبياء لكن في الإنجيل كلمنا شخصياً من خلال ابنه ".

الديانات غير المسيحية لديها لمحات عن الله، لكن لم تنظر الله في وجه شخص يسوع الذي كل ملء اللاهوت حالٌ فيه جسدياً.

رؤية أنفسنا في آيات الكتاب المقدس:

عندما نقرأ الكتاب المُقدَّس يجب أن نقرأه شخصياً، يجب أن نرى أنفسنا فيه، فمثلاً الرجل الأعمى المتلمس النور في إنجيل يوحنا مَن هو؟ هو أنا، فأنا أعمى تماماً بدون المسيح. التلاميذ بأسئلتهم الغبية والمُضلة مَن هم؟ هم أنا. الفريسيون المتحذلقون بتقاليدهم المركبة مَن هم؟ هم أنا.

القديس ثيوفان الناسك يكتب:

" أنت معك الكتاب المُقدس؟ إذن اِقرأه وفكر مَلياً في ما يقول وطبِّق الكلمات على نفسك، فتطبيق المُحتوى على النفس هو قصد ثمرة القراءة. **إن قرأت بدون تطبيق فما هيَ فائدة القراءة لك، لن تحصل على شيء حسن منها بل من الممكن أن تنتج ضرراً، فالنظريات سوف تتزاحم في العقل مؤدِّية بك إلى نقد الآخرين بدلاً من تحسين حياتك الخاصة ".**

بعض التأملات الشخصية:

أنا ككاهن وجب عليَّ دائماً أن أقاوم ما أدعوه مخاطرة مهنية، ففي قراءاتي اليومية للكتاب المقدس أنا مجرب دائماً بأن أُطبِّق على الآخرين الإلهامات التي يعطيني إيَّاها الروح القدس. بدلاً من أن أقول: " الرب يتكلم معي من خلال هذه الآية القوية، وأحتاج أن أنفذها في حياتي وهيَ مقصودة لتغييري "، أُطبِّقها على الآخرين بدلاً من تطبيقها على نفسي، وأنوي أن أستخدمها في وعظي وتعليمي. لكن كلمة الله شخصية. هيَ مقصودة لي أولاً. وإن صارت جزءاً من كياني فسوف لا أحتاج حتى أن أعظ بها بالكلام بل هيَ ستضيء من خلال حياتي. كما قال الرب يسوع: ***" أنتم نور العالم "***.

تأمّل في نبوة إشعياء النبي عن ذبيحة المسيا: ***" مَجروح لأجل معاصينا، مسحوقٌ لأجل آثامِنا. تأديبُ سلامِنا عليه، وبِحُبُرِهِ شُفينا "*** (إش ٥٣ : ٥).

نظرة باردة مجهولة للكون:

قارن بين محبة الله الشخصية لنا، مع النظرة الباردة التجريدية المجهولة للحياة التي يُقدِّمها لنا العلم. ستيفن وينبر Steven Weinber - الحائز على جائزة نوبل - ينقض الدين في كتابه " أحلام النظرية النهائية " "Dreams of a final Theory"، مُعتبراً أنه يُعتَقد فيه فقط لرغبة الناس أن يكون صحيحاً. فهو يقول: " إن التزمنا بالعلم فإننا نرى الكون كوناً مجهولاً وبلا هدف، وإن كانت هذه النظرة قد تُعد نظرة موحشة أو باردة للعالم إلا أنها النظرة الوحيدة المُصدَّق عليها من العلم ".

نظرة يسوع للكون هيَ العكس تماماً، فإنَّ الكلمات مثل موحشة ... باردة ... مجهولة ... مقفرة ... كلها نضع مكانها ضمائر شخصية للمحبة، كما قال الرب يسوع: ***" بطرس، صليت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك "***. الإيمان والمحبة التي بدوره يطلبها منا الله هيَ أيضا شخصية بالتساوي.

ماذا يقول الناس إني أنا؟:

عندما سأل يسوع تلاميذه: ***"ماذا يقول الناس إني أنا؟ "***، بدأوا كلهم في إعطاء أجوبة: قوم يوحنا المعمدان وآخرون إيليا وآخرون ... الخ، لكنه بعد ذلك تقدم بسؤال

شخصي جداً: ***" وأنتم، مَن تقولون إني أنا ؟ "***. على هذا السؤال الشخصي جداً يتعلق خلاصنا الأبدي. ليس بما يعتقده باسيليوس الكبير في المسيح، أو ما يعتقده يوحنا ذهبي الفم في المسيح، لكن ما أعتقده أنا فيه؟ ... مَن هو لي؟ ... هل هو ربي؟ ... هل هو إلهي؟؟.

إنجيلي:

إنه جدير بالملاحظة أن القديس بولس أحياناً يدعو إيمانه " الإنجيل " أو " إنجيل الله " أو " إنجيل المسيح "، وأحياناً أخرى يدعوه " إنجيلي ". هذا ما ساعد بولس في شدائده الكثيرة. ليس فقط الإنجيل بل (إنجيلي). فهو آمن بيسوع ابن الله الذي ***" أحبني وأسلم نفسه لأجلي "***.

في إيمان كثير من الناس الله ممكن أن يكون أشياءً كثيرةً، بالنسبة للبعض ممكن أن يكون بعيداً كل البُعد كمدارات زُحل، وللبعض هو مُجرَّد الشخص الذي صنع الكواكب والنجوم، لكنه للبعض الآخر هو **مثل ينبوع داخلي أو بئر في نفس المؤمن**. كما قال يسوع للمرأة السامرية: ***" الماء الذي أعطيكِ يصير فيكِ ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية "***.

هذا هو الله الذي نحتاج أن نعرفه شخصياً، فهو ليس مُجرَّد نظرية لشرح الكون ... إله تجريدي ... بعيد جداً ... لا شخصي، لكن الإله الذي هو ينبوع داخلي ... حضور داخلي ... حقيقي كالخبز ... مُنعشٌ كالماء ... الذي يُساندنا ويُحافظ علينا في ظلمة الأيام.

قال القديس يوحنا ذهبي الفم: " القراءة في الكتاب المُقدَّس هيَ افتتاح السماء ".

لتتذوق كيف أن كلمة الله شخصية افتح أصحاح المحبة (١ كو١٣). اقرأه بصوتٍ عالٍ واضعاً اسمك حيثما تذكر كلمة " محبة " (١ كو١٣ : ٤ ـ ٧). أليس عندما يسكب الله محبته فينا بالروح القدس نصير محبة؟.

أتذكر قصة لرجل صيني اسمه لوو، عندما سمع المُبشِّرين يقرأون من (متى ٢٨ : ٢٠): ***" ها أنا معك (يا لوو) كل الأيام إلى انقضاء الدهر "***، قفز قلبه فرحاً وقال: " الرب يعرف اسمي ويُقدِّم لي مثل هذا الوعد! ".

نحتاج أن نتذكر أن الرب قد قدَّم نفس الوعد الشخصي لكلٍّ مِنا: " ها أنا معك يا فلان كل الأيام إلى انقضاء الدهر ". نحتاج أن نضع اسمنا في كل وعد من وعود الله.

لماذا لم يحاول الكتاب المقدس أن يبرهن على وجود الله؟:

لا نجد في أي سفر من الكتاب المُقدس أن الكتاب حاولوا أن يُبرهنوا على وجود الله، لأن الله كان لهم شخصاً حقيقياً، وأي محاولة لبرهان وجوده لكانت تُعد مثل محاولة برهان حقيقة وجود أُم لأي شخص. هم عرفوا الله بالاختبار، وشعروا بحضوره في حياتهم كل يوم. لم يشعروا بأي احتياج لاثبات وجود ما هو واضح ومعروف.

اقرأ متوقعاً:

عندما يموت عضو غني في أسرة، يستدعي المحامي كل الأقارب معاً لقراءة الوصية. أثناء قراءتها كل شخص ينصت بتركيز ... بتوقُّع ... بتلهُّف ... مُنتظراً ليسمع اسمه يُذكر. أحد الأشخاص كبير في السن إذ كانت له صعوبة في السمع أحضر معه بوق إستماع قديم ووضعه قرب أذنيه حتى لا تفوته كلمة واحدة.

هذه صورة للكيفية التي يجب علينا أن ننصت بها عندما يتكلم الله ... بتلهُّف. كل شيء يقوله هو موجَّه لنا شخصياً. نحن نتأهب لنرث الملكوت، فكل شيء يعِدنا به عليه اسمنا. لهذا السبب نحن نسمع الأمر: لننصت ـ انصتوا، كثيراً في القداس الإلهي وخصيصاً قبل قراءة الإنجيل. فهيَ تعني " استمع جيداً الآن فالرب على وشك أن يتكلم معك شخصياً ".

القوة السرائرية:

الكتاب المُقدَّس ليس مُجرَّد كتاب آخر. هو سر مقدس. هو رسالة حب شخصي لك من الله يحتوي على طلب ارتباط، يسوع العريس وأنت العروس. هو يتمنى أن يدخل إلى أقصى حدود العلاقة الحميمية معك، علاقة حب. هو يبعث لك برسالة فيها عرض للارتباط بواسطة الكتاب المُقدَّس، ويتوقع استجابة. هذا أهم جواب سوف تتخذه في حياتك. هل ستقول: " نعم " أم " لا " لخالقك ... لمُخلصك ... لعريسك ... لإلهك؟ إنَّ نصيبك الأبدي سيعتمد على هذا الجواب الشخصي.

الأسقف " كاليستوس وير" يكتب عن الإنجيل فيقول:

" ككتاب فريد في كونه مُوحى به من الله، ومُوجَّه لكل مؤمن شخصياً، الكتاب المُقدَّس يملك قوة سرائرية، يُبعث النعمة للقاريء آتياً به إلى درجة إلتقاء ومواجهة حاسمة مع الله ".

الكتاب المُقدَّس هو الحضور الحقيقي للمسيح. هو ليس نصاً عتيقاً يُقرأ بالعقل. هو المسيح يتكلم معك شخصياً. الأب " جورج فليروفسكي " مرة قال: " لا ينتفع أحد من الإنجيل إن لم يكن على علاقة حب مع المسيح، فإن المسيح ليس نصاً بل شخصاً حياً وهو يسكن في جسده الكنيسة ".

في إنجيل يوحنا أصحاح ١٧ يُصلي يسوع بحرارة خصيصاً من أجل تلاميذه على امتداد الزمن، أولئك الذين سيتركهم خلفه ليكملوا عمله في غيابه ومن أجل أولئك الذين يخلفونهم، وهذا يعني أنه كان يُصلي من أجلي ومن أجلك.

تطبيق شخصي:

الأسقف " كاليستوس وير " يكتب عن تطبيق كلمة الله شخصياً في حياتنا فيقول:

" بالنسبة للقديس مرقس الراهب (مرقس المتوحد القرن الخامس - السادس) **" الإنسان المُتضع في أفكاره ومُرتبط بالعمل الروحي يُطبِّق كل شيء على نفسه وليس على جاره عندما يقرأ الكتاب المقدس** ". علينا أن نتطلع إلى تطبيق شخصي في الكتب المقدسة، فسؤالنا ليس ببساطة " ماذا يعني هذا؟ "، لكن " ماذا تعني هذه الكلمات لي؟ ". كما أكد القديس تيخون: " المسيح نفسه يتكلم معك ". فالكتاب المقدس هو محادثة مباشرة وشخصية بين المُخلص وبيني، المسيح يُخاطبني وقلبي يستجيب ".

هكذا ونحن نقرأ كلمة الله نحتاج أن نسأل أنفسنا بعض الأسئلة الشخصية جداً:

١- ما الذي يقوله الكتاب؟.

٢- ما الذي يقوله الكتاب لي؟.

٣- كيف تُقارَن حياتي مع كلمات الكتاب؟.

٤- ما هيَ الخطوات المُحدَّدة التي سوف أتخذها لكي ما تتفق حياتي مع كلمات الكتاب؟.

طبع كلمة اللـه بطابع شخصي:

عندما نقرأ الإنجيل يجب علينا أن نُشخِّص كلماته بوضع اسمنا في كل وعد. لنأخذ (يو٣ : ١٦) كمثال:

لأنه هكذا أحب اللـه (فلان) حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا أهلك (أنا فلان) الذي أؤمن به، بل تكون لي حياة أبدية ... (يو ٣ : ١٦).

وعود إنجيلية أخرى هيَ في الأساس شخصية و تحتاج منا المُطالبة بها، إليكم البعض منها:

- لا تخف (يا فلان) لأني معك، لا ترتعب لأني إلهك.
- سأقويك (يا فلان)، سأساعدك (يافلان).
- سأرفعك (يا فلان) بيمين برِّي.
- طلبت (أنا فلان) إلى الرب فاستجاب لي ومن جميع مخاوفي نجَّاني. تقدَّموا إليه واستنيروا (مز٣٤).
- فيملأ إلهي كل احتياجاتكم بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع (في٤).

لاحظ أن القديس بولس لم يقل اللـه فقط (أي إله) بل قال إلهي، ولم يقل أن إلهه يقدر أن يملأ كل احتياجه بل أنه سوف يملأ كل احتياجه.

هذا امتياز لي أنا أيضاً، أن آخذ هذا الوعد الرائع، وأن أطالب به، وأمتلكه، وأثبته وأقول: " إلهي سوف يملأ كل احتياجي بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع ".

أولادي الصغار:

كتب القديس نيقوديموس الذي من الجبل المُقدَّس(جبل آثوس):

" الرب في يو١٣ لا يدعو رسله أولاداً بل بأسلوب لطيف عائلي يدعوهم teknia - أي " أولادي الصغار" - لقب لم يدعهم به من قبل - ***" يا أولادي (الصغار) أنا معكم زماناً قليلاً بعد "*** (يو ١٣ : ٣٣). عجباً لهذه المحبة العظيمة والمُتسعة لنا أيها الحبيب يسوع جَزيل التحنن ومُحب البشر ".

الكلمة teknia في اللغة اليونانية هيَ كلمة دافئة وشخصية وهي تُترجم " أعزائي أولادي الصغار". إن كان يسوع قد خاطب رسله بهذه الكلمة الجميلة ألا يُخاطبنا نحن - رسله المُعاصرين - أيضاً بنفس الاسلوب؟.

ميراث ... محفوظ من أجلك:

القديس بطرس يكتب عن ميراث لا يضمحل محجوز في السماء خاصةً من أجلك: ***" مُباركٌ اللـه أبو ربِّنا يسوع المسيح، الذي حسب رحمته الكثيرة ولَدَنا ثانية لرجاءٍ حيٍّ، بقيامة يسوع المسيح من الأموات، لميراثٍ لا يفنى ولا يتدنَّس ولا يضمحِلُّ، محفوظٌ في السَّمَواتِ لأجلكم "*** (١ بط ١ : ٣ - ٤).

فهل نندهش عندما نرى باسيليوس الكبير يحثنا قائلاً: " اقرأ الكتاب المُقدَّس لمنفعتك الشخصية لأنك ستجد هناك الدواء اللازم لكل مرض من أمراضك ".

المزامير شخصية:

إن أردت أن تعرف إلى أي مدى تكون علاقتك باللـه شخصية اقرأ المزامير. أنا شخصياً أحب المزامير، مهما بلغ عدد مرات قراءتي لها فإنني لا أمل منها أبداً، فعلى الدوام هناك تبصر جديد يخاطب قلبي ويعطيه حاجته لليوم. المزامير تجعلني أشعر أنني بشري، ففي المزامير أجد قلباً آخر يتفهَّم ويتلامس مع قلبي. فهناك بشري آخر قد شعر من قبلي بما أنا أمرُّ به الآن وما أنا أشعر به الآن.

مُرنِّم المزامير كانت له علاقة شخصية مع اللـه، هو لم يخبئ شيئاً عن اللـه، طرح أمامه كل شيء، قيامه وسقوطه، ارتفاعه ويأسه. أخبر اللـه بكل شيء، حتى في بعض الأحيان كان يُصارِع معه.

استمع لمزمور ٢٣:

" الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء، في مراع خضر يربضني إلى مياه الراحة يوردني يرد نفسي ... ".

أحد الأشخاص وصف المزامير على أنها: " سكب القلب أمام اللـه في شركة شخصية حميمية جداً، نابعة من احتياج وطموح النفس في أزمات الحياة ".

استمع لداود وهو يسكب أحزانه للـه بطريقة شخصية جداً في مز ٥١:

" ارحمني يا اللـهُ حسب رحمتك. حسب كثرة رأفتِكَ امْحُ مَعَاصِيَّ. اغسلني كثيراً من إثمي، ومِن خطيَّتي طهِّرني. لأنِّي عارفٌ بمَعَاصِيَّ، وخطيَّتي أمامي دائماً. إليك وحدكَ أخطأتُ، والشر قدام عينيك صنعت، لكي تتبرَّر في أقوالك، وتزكو في قضائك. هأنذا بالإثم صُوّرتُ، وبالخطية حَبِلت بي أُمِّي.

ها قد سُررتُ بالحقِّ في الباطن، ففي السريرة تعرِّفني حكمة. طهِّرني بالزُّوفا فأطهُرَ. اغسلني فأبْيَضَّ أكثر من الثلج. اسْمِعْنِي سُروراً وفرحاً، فتبتهج عظامٌ سحقتها. استر وجهك عن خطاياي، وامْحُ كلَّ آثامِي.

قلباً نقيَّاً اخْلُقْ فيَّ يا اللـهُ، ورُوحاً مُستقيماً جَدِّدْ في داخلي. لا تطرحني من قُدَّام وجهك، ورُوحك القدُّوس لا تنزعهُ منِّي. رُدَّ لي بهجة خلاصِكَ، وبرُوحٍ مُنْتَدِبَةٍ اعضُدْنِي. فأُعلِّم الأثمة طُرُقَكَ، والخُطاةُ إليك يرجعون.

نجني من الدماء يا اللـه، إله خلاصي، فيُسبِّح لساني ببرِّك. يارب افتح شفتيّ، فيُخبرَ فمي بتسبيحك. لأنَّكَ لا تُسَرُّ بذبيحةٍ وإلاَّ فكنتُ أُقدِّمُها. بمُحْرَقَةٍ لا تَرضَى. ذبائحُ اللـهِ هيَ رُوحٌ مُنكسرةٌ. القلب المُنكسِرُ والمُنسحِقُ يا اللـهُ لا تحتقِرُهُ.

أحْسِنْ برضاكَ إلى صهيونَ. ابْنِ أسوارَ أورُشَليمَ حينئذٍ تُسَرُّ بذبائح البرِّ، مُحْرَقَةٍ وتقدمَةٍ تامَّةٍ. حينئذٍ يُصعِدُونَ على مذبَحِكَ عُجولاً ".

بما أن اللـه لا يتغير فنحن أيضاً نستطيع أن نستمتع معه بنفس العلاقة كما كانت لداود أو بولس أو إبراهيم أو موسى. نستطيع أن نختار أن تكون لنا علاقة حب منفتحة وشخصية معه، أو نختار أن نبقيه على مسافة منا ونخطو منفردين ... بلا أساس ... بلا رجاء ... في قلق ووحدة قاسية ... فالاختيار لنا.

الباب الثاني عشر

مشاركة إيماننا للآخرين بشكل شخصي في محبة

"إن أردت أن تملأ عشرة من الزجاجات باللبن، يجب عليك أن لا تراجع إلى الخلف وترش عليهم، بفعلك هذا أنت لا تملأهم بل تبللهم فقط، إنما يجب عليك أن تأخذها واحدة فواحدة".

مشاركة إيماننا للآخرين بشكل شخصي في محبة:

إن كنا نؤمن بأن الله يحب كل واحد منا محبة شخصية، فإيماننا هذا سوف يترجم إلى محبة عميقة وشخصية لأولاده الذين على صورته، وبواسطة نعمة الروح القدس نحن مفوضين لمشاركة الآخرين إيماننا - شخص لشخص - وهكذا نجعل محبة الله الشخصية ظاهرة.

أحد المؤلفين يُخبرنا عن كيف حصل على تنمية علاقته الشخصية مع زوجته. مرة من كل أسبوع كانا يخرجان للعشاء سوياً لكي يكون لهما الوقت أن ينظر كل منهما للآخر بعمق. وكل يوم يقضون ربع ساعة في حضور عميق يسمع كل منهما للآخر، يتشاركان في الآمال المُشتركة، ويتم تذويب إختلافاتهما، ومناقشة مشاكلهما، ثم يُصليان معاً.

إن وفرنا بعض الوقت لمثل هذه اللقاءات العميقة الشخصية، فسوف نكتشف طريقة مدهشة لترك المحبة تنبض بالحياة وتنمو.

أحد الآباء لكي ما يُعبِّر عن محبته الشخصية فإنه يأخذ ابنه مرة كل شهر للعشاء، غالباً ما يكون لساندوتش هامبورجر، أب وابنه (أو وابنته) يجلسان وحدهما ويتناقشان معاً في أي شيء يجول في خاطرهما. في الأغلب الأب يستمع لمشاكل الفتى. هل هناك طريق أفضل لإظهار الحب الأبوي؟.

كثير من الكنائس بها مجموعات للصلاة ودراسة الكتاب، القصد من هذه المجاميع هو جعل محبة المسيح أكثر شخصية، عندما يتقابل عشرة أو أكثر معاً في دائرة للصلاة ودراسة الكتاب ينمو الشعور بأنهم أعضاء بعضهم لبعض. محبة المسيح تصير شخصية في الشركة والصلاة لمثل هذه المجموعات الصغيرة.

كأنها رسالة مُقدَّمة لفردٍ واحد:

لا تكون أي عظة أو تعليم لها فعالية حقيقية إلا إن قُدمت كرسالة مُقدَّمة لفرد واحد، فمن وجهة النظر المثالية يُفَضل أن يكون للمُدرِّس تلميذ واحد، هذا يشدد العلاقة بين الأستاذ والتلميذ، والمطلوب من الأستاذ أن يقود تلميذه في طريق قد سبق واجتازه، وهذا يُظهر أنَّ المدرس مُطالب بأن يُعَلِم بأكثر من مجرد كلام.

هو مُطالب بأن يكون مثالاً للتلميذ أو نموذجاً. التعليم الأكثر تأثيراً هو الذي يتحقق على مستوى شخصي - شخص لشخص.

مُرشد شخصي:

في الروحانية الأرثوذكسية هناك تشديد على أهمية وجود مرشد، أب روحي، يُسمَّى في اليونانية جيرون geron وفي الروسية ستارتس starets. ما يُقدِّمه هذا المُرشد الروحي ليس فقط نظام للصلاة أو مجموعة من الوصايا الأخلاقية بل علاقة شخصية (شخص لشخص). فهناك قدرة عجيبة في العلاقة الشخصية التي تنتعش وتنشط بالروح القدس. أشياء تحدث وتغييرات تنجز، عندما نرتبط في علاقة شخصية تحت إرشاد الروح القدس.

تقليد المُرشد في الكنيسة الأرثوذكسية يشهد لحقيقة: أن حياة " أنا ويسوع " فقط ليست كاملة، وسوف لا تتقدَّم لحدٍ بعيد. علاقتنا الشخصية مع المسيح تحتاج أن تتثبت في الكنيسة، وهى تُزهِر عندما تطلب الإرشاد من المُرشد الروحي في مقابلة شخصية.

مثالين:

امرأة مسنة كانت تنظف الكاتدرائية الانجليكانية في لندن، دخلت في محادثة مع قس وسألته: " هل تعرف رئيس أساقفة كانتربري؟ "، أجابها: " نعم أعرفه "، قالت: " أتعرف أنه جاء هنا وسألني عن أحوالي لأنه لاحظ أنني لا أبدو سعيدة. وقلت له كيف أكون سعيدة ولي ابنين في سجون ألمانيا، وزوجي رجل مُسن لا يستطيع أن يعمل وعليَّ أنا أن أعمل وليس لي إلا القليل لأحيا به. هل تعلم ما فعله قداسته؟ جلس على هذا السلم ليسمعني لمدة ساعة وتكلمنا عن الله ".

حادثة أُخرى من حياة البابا يوحنا بولس، استوقفه مرة زوج سائلاً إياه أن يُصلي من أجل زوجته المريضة بالمنزل، قال له: " بكل سرور، لست فقط سأُصلي من أجلها بل سأذهب معك الآن لزيارتها والصلاة من أجلها ". وصعد الزوج إلى سيارة البابا وذهبا معاً إلى بيته.

الاهتمام الفردي:

نحن كلنا نحب الاهتمام الفردي، لذلك نحن نستجيب بإيجابية لأي شخص يختارنا ويُركز اهتمامه المُباشِر علينا.

عندما أصبح داريل أيفنز Darell Evans لاعب البيسبول الأول لاعباً حُراً، سعت كثير من الأندية لضمه إليها، لكنه قرر أن يتعاقد مع نادي ديترويت تيجرز Detroit Tigers. لماذا؟ لأنه كما قال: " مدير نادي تيجرز سباركي أندرسون Sparky Anderson هو المدير الوحيد الذي اهتم أن يطلبني ويكلمني شخصياً ".

سحر الحب:

الحب الشخصي يصنع المعجزات. هذا ما تشهد به هذه القصة الحقيقية:

" الحب الشخصي قادر حتى أن يشفي الآخر. كان توم شخصاً بسيطاً غير مُدرب على العلاج النفسي يعمل كخادم في مستشفى عقلية. وكانت هناك مريضة مختلة ذهنياً لها ١٨ سنة في المستشفى. لم تكلم أحداً أبداً طول هذه المدة بل حتى لم تنظر لأحد مباشرة في عينيه. كانت تجلس منفردة طول اليوم على كرسي هزاز تهتز أماماً وخلفاً. في أحدالأيام وتوم في استراحة العشاء، وجد كرسي هزاز آخر وجذبه بجانبها وأخذ يهتز معها وهو يأكل عشاءه. رجع اليوم التالي ... والتالي ... كان يعمل خمسة أيام فقط لكنه قدَّم طلباً ليُسمح له أن ياتي في أيام أجازته لكي ما يهتز مع السيدة المريضة. توم فعل هذا لمدة ستة أشهر متواصلة. ثم في أحد الأيام وهو ينهض لينصرف قالت له المرأة: " ليل سعيد "، وهذا كان أول كلام تقوله هذه المرأة بعد ١٨ سنة من الصمت. بعد ذلك بدأت أن تتعافى. توم واصل الاهتزاز معها يومياً وأخيراً شُفيت من مَرضها العقلي "[٤٦].

نحن كمسيحيين عندنا رسالة العالم العُظمى. يسوع مات وقام شخصياً لك ولي. تترجم رسالة الإنجيل هذه إلى محبة قادرة على الشفاء. يجب علينا أن نعرض هذه الرسالة بطريقة شخصية كما قدمها المسيح للمرأة السامرية ولغيرها الكثير.

---

[46] "Healing the Eight Stages of Life" M.Linn, S.Fabricant,D.Linn.Paulist Press 1988

الشخصي يُخلِص:

توماس مرتون Thomas Merton قال:

" إن حقيقة العلاقة الشخصية في النهاية، هيَ التي تخلص كل شيء ". هذا بصورة خاصة حقيقي في علاقتنا مع الله.

عندما ننظر إلى المسيح المصلوب على الصليب شخصياً من أجلك ومن أجلي لا نستطيع إلا وأن ننطق بكلمات الخاطئ التائب الذي كتب:

" إن كنت أقل كبرياء لكان إكليل الشوك أقل وخزاً.

إن كنت أقل جشعاً وبخلاً لكان ثقب يديه أقل عمقاً من مسامير الصلب.

إن كنت أقل شهوانية لكان جسده غير مُعلَّقٍ هكذا مثل الخرق الأُرجوانية.

إن كنت لم أهيم مثل خروف ضال في انحراف الغرور لكانت قدماه أقل تمزيقاً بالمسامير.

أنا آسف ليس فقط لأنني كسرت وصية، لكنني آسف لأنني جرحت ذلك الذي مات من فرط حبه لي ".

سحر الشخصي:

ما هذا التغيير العجيب الذي يحدث للناس عندما يُعامَلون بطريقة شخصية. في حضور مثل هذا تجد الذين يحبونك ويهتمون بك يصيرون حاضرين لك كلياً، وعندما تتكلم ينصتون لك بكل كيانهم. عيونهم لك فقط. آذانهم لك فقط. كلامهم لك فقط. وعندما يسألون أسئلة أنت تعلم أنها من أجل خيرك وليس لغرض فيهم. حضورهم هو حضور شافي لأنه حضور شخصي بالكلية، تغيير عجيب يحدث فينا عندما نكون في حضور مثل هذا.

حاضر بالكلية:

مارك فان دورن Mark Van Doren قال مرة:

" هناك شيء واحد نستطيع أن نفعله والناس الأكثر سعادة هم الذين يفعلونه بحسب قدرتهم. نستطيع أن نكون حاضرين بالكلية. نستطيع أن نتحكم في ميل عقولنا إلى التجوال من مكان نحن فيه إلى الأمس، إلى الغد، إلى شيء قد نسيناه،

إلى مكان آخر سوف نذهب إليه بعد ذلك مباشرة. أنه من الصعب فعل ذلك، لكنه من الأصعب أن نفهم بعد ذلك من أين جاء تقصيرنا. التقصير كان هناك عندما توقفنا أن نعطي كامل انتباهنا للشخص، أو للفرصة التي أمامنا.

أولئك الذين لهم أقل مرات الندم، هم الذين يأخذون كل لحظة في وقتها بكل قيمتها المستحقة. اللحظة الحاضرة لن ترجع ثانية إن كان للأفضل أو للأسوأ. هيَ لنا وحدنا. نستطيع أن نصنع منها ما نريده ".

شخص ربنا يسوع المسيح هو مثال حي للحضور الكامل الذي كان على الدوام حاضراً بالكلية للناس. لنذكر بعض الأمثلة، الرب لاحظ زكا وهو مختبئ فوق شجرة ودعاه ليتعشى معه. الرب سمع صراخ المستعطي الأعمى في الطريق واستجاب بالشفاء. الرب سمع صراخ اللص التائب على الصليب وقال له: " اليوم تكون معي في الفردوس ".

كم من مرات يأتي إلينا الناس، أطفال لآباء، زوجات لأزواج، أصدقاء لأصدقاء، في محاولة لتفريغ أحمالهم، ونحن نجلس لنستمع ولكن عقولنا وقلوبنا على بُعد آلاف الأميال. إن كان لنا حضوراً كلياً نحو بعضنا البعض لتوقعنا بالفعل معجزات تحدث. أن نكون حاضرين كلية للآخرين أي أن نساعدهم على اختبار محبة الله الشخصية.

حرم الآخر من الشعور بهويته الشخصية:

دكتور بول تورنيير Dr.Paul Tournier يحدثنا عن خبرة أحد أصدقائه (د. بلانتر) الذي جاءته امرأة طالبة عملية إجهاض، وكانت تذكر جنينها التى تريد أن تفنيه على أنه " مجموعة صغيرة من الخلايا "، فهيَ بالتمام ألغت كينونته وقللت من قيمته. وفي أحد الأيام وردت فكرة للطبيب وقال لها: " ما هو الاسم الذي كنت ستعطينه للطفل في حالة اتمام ولادته؟ ". وهنا جو المحادثة قد تبدل. فالمرأة صمتت. شعرت أنها أول ما تعطي الجنين اسماً سيتوقف أن يكون مجموعة صغيرة من الخلايا ليُصبح شخصاً. علق الطبيب قائلاً: " حقاً كانت هذه اللحظة لحظة مدهشة ... شعرت وكأنني حاضرٌ في فعل خلق ".

أذكر أحد الأطباء الذي قال مرة: " لم يحدث أن جاءت لي امرأة حامل سائلة: كيف حال جنيني؟ ".

العلم له طرقه في إلغاء هوية الطفل بتسميته embryo أو fetus ، لكن أصل الكلمة embryo تأتي من كلمتين يونانيتين معناهما: " طفل بالداخل "، وكلمة fetus هيَ كلمة لاتينيه معناها: " شخص صغير ".

قالت إحدى النساء مرة: " نحن في هذا المجتمع ننقذ الغابات، والذئاب، والعقعق، وزجاجات الكوكا، لكن كل أحد يريدني أن أتخلص من طفلي ".

إنه من السهل أن تقتل عندما تلغي هوية الآخر سواء كان جنيناً أو جندياً معادياً. شاب أمريكي يعمل على قاذفة صواريخ قال مرة: " لست أعلم إن كنت أستطيع أن أقتل شخصاً عن قرب، فهذه الطريقة تجعلني أضغط على زر ليس إلا، وليس عليَّ أن أنظر ماذا أصابت قذيفتي ".

إنها لمعطية للحياة عندما نعامل أحداً كشخص، وإنه شيء مميت عندما نلغي هوية أحد الشخصية.

ماكينة الطوابع الجديدة:

سيدة مسنة اسكتلندية ذهبت لمكتب بريد في قريتها ذات صباح، وفي الردهة كان هناك عامل مشغولاً في تركيب ماكينة، عندما ذهبت إلى الشباك سألت عن الطوابع، ثم سألت: " ما الذي تضعونه في الردهة؟ ". فأجاب رجل البريد بكل فخر: " إنها ماكينة الطوابع الجديدة، سوف لا تحتاجين إلى الوقوف في الصف في المستقبل، ستُدخِلين ورقة نقدية وتأخذين الطوابع ". نظرت السيدة للماكينة بنظرة ساخرة للحظة ثم سألت سؤالاً عويصاً: " لكن قل لي هل الماكينة ستسألني عن ألم المفاصل (الروماتزم)؟ ".

لا شك أن الماكينة فعَّالة لكنها ليست شخصية، إنها بالطبع لن تسألك عن أحوال مرضك.

الرجل المرساة:

قرأت قصة مؤخراً عن شخص كان عليه أن يذهب إلى عيادة في ولاية مينيسوتا (Mayo Clinic in Rochester, Minnesota)، بعد أن تم إدخاله إلى العيادة قال أنه وُجه إلى مكتب طبيب (كل مريض يُخصَّص له طبيب يصير له " الرجل المرساة " بغض النظر عن كم المتخصصين الذي سيعرض عليهم)، وهناك الطبيب عرَّفه بنفسه ثم قال له: " هذا مكان كبير ومن الممكن أن تشعر بأنك ضائع هنا، لكنني أريدك أن تعرف أن كل خدمة هنا لها هدف واحد وهو خدمتك "، وأخذ كارتاً وكتب عليه رقماً وقال: " إن إحتجتني وأنت في العيادة في أي ساعة من النهار أو الليل، فقط إرفع سماعة التليفون واُطلب هذا الرقم وسأكون عندك في خلال خمس دقائق ".

المريض أكمل قائلاً: " شعرت بعد هذه المقابلة بأنني لست قطعة من ماكينة غير شخصية، شعرت أنني عنصر مهم هنا، عرفت أن هناك مَن يهتم، وبدأت أشعر بأنني في حالة أفضل ".

وأنا أقرا هذه القصة فكرت: " أليس هذا هو نوع المحبة التي يجب علينا نحن المسيحيون أن تكون فينا؟ محبتنا للناس يجب أن تكون شخصية - في عمق شخصي - على الأقل مثل هذه المحبة التي أظهرها طبيب هذه العيادة نحو مريضه.

الباب الثالث عشر

لقاءات شخصية مع الله

"بانفتاحي على الأرثوذكسية وعلى الشعب الأرثوذكسي
فكرة جديدة بدأت في الدخول إلى وعيي،
وهي أن الحق ليس مُجرد فكرة نظرية تلتمس وتعرف بالعقل
بل هو شيء شخصي - بل شخص - يُلتمس ويُحَب بالقلب.
وهذا هو كيف تقابلت مع المسيح".

أحد الأعضاء الجُدُد في الكنيسة الأرثوذكسية

لقاءات شخصية مع اللـه:

من المهم أن نذكر أن العالم الوثني هو الذي دعى تلاميذ يسوع " مسيحيين " أي أتباع المسيح. يسوع لم يدعُ تلاميذه مسيحيين، بل دعاهم " شهود ". لم يقل المسيح: " تكونون لي مُحامين "، فالمُحامي دائماً يعرض مناقشة، فهو يُجادل ويُحاجج لكن الشاهد هو ببساطة يقول ما يعرف من خبرته الشخصية، ونحن نعلم أن حجة من خلال خبرة شخصية لا تُدحَض.

إذا كنا قد أنمينا علاقة شخصية مع سيدنا فنحن لا نستطيع إلا وأن نصبح شهوداً مؤثرين له في العالم. الفم دائماً سيتكلم من ملء وفيض القلب. هذا صحيح بصورة خاصة للآباء والمُعلمين والكهنة، فنحن لسنا محامين عن اللـه نتكلم بحجج مفتعلة بل نحن له شهود نتكلم ونعلم من فيض قلوبنا، نتكلم بذاك الذي رأيناه وسمعناه واختبرناه.

علم اللاهوت في سياق العبادة:

هذا ينعكس على الكيفية التي يُدَرَّس بها علم اللاهوت في الكنيسة الأرثوذكسية، بعكس معظم مدارس علم اللاهوت في الغرب التي كثيراً ما تعتمد فقط على المنطق والتفكير الدؤوب، فإن علم اللاهوت في الكنيسة الشرقية ينمو خلال الصلاة والعبادة. فعلم اللاهوت الصحيح في نظر آباء الكنيسة هو ما يُكتسب من خلال الإيمان والحياة المقدسة والعبادة، وبكلمات أخرى علم اللاهوت ينمو من الاختبار، من خبرة شخصية للـه في الصلاة والعبادة.

" إنَّ اللاهوتي الحق هو الشخص المصلي بالحق " قال آباء الكنيسة.

وهذا يُفسِّر لماذا كثير من المعاهد اللاهوتية كانت بحسب التقليد تلتحق بأديرة، حيث الصلوات اليومية - صباحاً ومساءً - مقننة، وحيث أن كل مبتدئ تحت إرشاد أحد الشيوخ (ستارتس) يتعلم تعليماً روحياً أي شخص لشخص.

اختبار اللـه في الإنجيل:

الكتاب المُقدَّس يعكس خبرة أناس اللـه، فالكتاب المقدس ليس سجلاً لأفكار البشر تجاه اللـه، بل سجلاً لخبرتهم الحقيقية مع اللـه. فلا عجب أن بين صفحاته الكثير من العبارات الشخصية الرائعة مثل:

- ***" أما أنا فقد علمت أن وليي حي "*** (أيوب الصديق).
- ***" أنا عالم بمَن آمنت ومُوقن أنه قادر أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم "*** (بولس الرسول).

لقد عاشوا خلال التجارب وأُعطوا قوة. كانت أرواحهم في خطر واللـه قادهم إلى أماكن آمنة. إنهم قالوا هذه الأشياء لا لأنهم تعلموها بل لأنهم اختبروها، فهم كانوا شهداء، شهود عيان، إيمانهم كان شخصياً.

لا يريد الناس أن يسمعوا مُحامين يعرضون دفاعات منطقية عن وجود اللـه بل يريدون أن يسمعوا شهوداً للـه، يشهدون عن خبرة شخصية ماذا فعل اللـه لهم. هذا ما كان عليه المسيحيون الأوَّلون: شهود، شهداء. كما قال واحدٌ عن المسيحيين الأوائل: " اللـه؟ قد عرفوه! معجزات؟ هم أنفسهم كانوا معجزات! القيامة؟ قد اجتازوها! السماء؟ كانوا يعيشون فيها! الجحيم؟ قد نجوا منه! المصالحة؟ قد تهللوا بها! الحياة الأبدية؟ قد امتلكوها ". كان كله شخصياً جداً.

من جهاز تسجيل إلى جهاز تسجيل:

قال الأسقف كاليستوس:

" في هذا العالم اللا إنساني الذي فيه نستقدم جهنم، بعدم النظر بأي حس عميق إلى وجوه الآخرين، أحد أهم الواجبات علينا كمسيحيين أن نعيد تأكيد القيمة الفائقة للشركة الشخصية المباشرة. يجب علينا أن لا ندع الماكينات تحل مكاننا كما حدث في هذه القصة الطريفة عن الطبيب النفسي ومريضه:

قال الطبيب في لقائه الأول مع مريضه: " من السهل عليَّ أن أركز حتى وإن كنت غير ناظرٍ إليك، فأنا سأجلس هناك في الركن خلفك وأنت اجلس مسترخياً على الأريكة وقص عليَّ قصتك ". بعد أن مر زمن، المريض شك في الأمر فإنَّ هذا

الركن يبدو هادئاً جداً خلف الستارة، فدفعه فضوله ومشى على أطراف أصابعه قاطعاً الغرفة - هواجسه تأكدت - فقد رأى من خلف الستارة باباً وبجانبه مقعد ولكن لم يجد الطبيب على المقعد بل رأى جهاز تسجيل.

لم ينزعج المريض أكثر من اللازم، فهو قد قص قصته لكثير من الأطباء النفسيين قبل هذا الطبيب ومعه قصته مُسجلة على شريط، فأخرج جهاز تسجيل من حقيبة أوراقه، ووضعها على المقعد وأداره. ثم خرج ونزل إلى الشارع وعبر الطريق إلى مقهى، وبداخل المقهى وجد الطبيب يشرب القهوة، فطلب قهوته وجلس على مائدة الطبيب. احتج عليه الطبيب قائلاً: " أنت غير مُفترض أن تكون هنا، أنت يجب أن تكون في العيادة جالساً على الأريكة تقص عليَّ قصتك ". " لا تنزعج " أجابه المريض: " فإنَّ جهاز تسجيلي يُكلم جهاز تسجيلك ".

نحن كمسيحيين نؤكد هنا على أهمية الحاجة إلى اللقاءات الشخصية بلا وسيط، لا ماكينة لماكينة بل وجه لوجه، شخص لشخص " [٤٧].

علاقتنا باللـه وحياتنا المُصلية، يجب أن تكون شخصية وجهاً لوجه، غير ميكانيكية - ليست جهاز تسجيل لجهاز تسجيل - تردد بعض الصلوات روتينياً. تذكر كيف أدان ذلك الرب يسوع عندما تكلم عن الذي يكرم اللـه بشفتيه فقط أما قلبه فمبتعد عنه بعيداً.

د. كريستوس ينـاريس أوضح أن كلمة شخص باليونانية prospon معناها الحرفي " وجه ". فأنا حقاً أكون شخص فقط بقدر ما أواجه الآخرين - خاصةً اللـه - وجهاً لوجه وأتصل بهم شخصياً.

في العهد القديم اللـه لم يظهر وجهه، موسى سُمح له أن يرى فقط ظهر اللـه (خر ٣٣ : ٢٣)، في العهد الجديد أظهر اللـه وجهه في شخص يسوع. ولذلك نحن مدعوون أن نتصل به وجهاً لوجه، شخصاً لشخص.

---

47 "Personhood. " Edited by John Chirban. Bergin and Garvey Co.1995.

أمثلة لأشخاص إيمانهم كان شخصياً:

رئيس الأساقفة أناستاسيوس Archbishop Anastasios Yannoulatos هو قائد روحي بارز للكنيسة الأرثوذكسية (اليونانية)، هو حالياً الأب الروحي للكنيسة الأرثوذكسية في ألبانيا، خدم كمُبشِّر في أفريقيا وفي نفس الوقت كان أستاذاً في جامعة أثينا. هو أب لحركة التبشير المعاصرة في اليونان.

أثناء الحرب العالمية الثانية الصغير يانولاتوس ابتدأ في اختبار إيمانه بطريقة شخصية جداً، تخلى عن شغفه بالرياضيات وسعي في علم اللاهوت حتى تخرَّج من جامعة أثينا سنة ١٩٥١م بمرتبة الشرف، أكمل تعليمه في ألمانيا حيث حصل على الدكتوراة، كانت محبته ليسوع متقدة جداً إذ قال: " لم يكن كافياً لي أن أعطي شيئاً لله، كان عليَّ أن أعطى نفسي بالكامل له. أردت ان أحيا بكامل وجودي في المسيح ". كرَّس حياته ليجعل الإيمان الأرثوذكسي واقعياً لشعبه. لرئيس الأساقفة يانولاتوس الخدمة بدأت عندما صار إيمانه بيسوع شخصياً.

المطران أنطوني بلووم Metropolitan Anthony Bloom قال: أن علاقته الشخصية مع يسوع بدأت عندما كان طالباً في كلية الطب، وفي إحدى الأمسيات وهو يقرأ إنجيل مرقس شعر بالحضور الحي للرب يسوع في غرفته. كان هذا الاختبار سبباً في تغيير حياته. من هذه اللحظة فصاعداً بدأ إيمانه بيسوع يصير شخصياً بعمق، ونحن نعلم عن حلاوة علاقته الشخصيه هذه عندما نقرأ كتبه الملهمة عن الصلاة.

القديس كوزموس آيتولس St. Kosmos Aitolos كان خادماً يسافر في قرى اليونان أثناء القرون المظلمة للاحتلال التركي، مُبشِّراً بالمسيح أينما ذهب، كان عندما يصل إلى ميدان أية قرية كان يسأل الناس أن يقيموا صليباً خشبياً كبيراً في ميدان القرية، ثم يضع مسطبة أمام الصليب، يقف عليها ويبشر مرتجلاً عن محبة الله وتعاليم يسوع، ثم كان يسافر للقرية التالية تاركاً الصليب في مكانه كمذكر لتعاليمه للقرويين.

إيمان كوزموس كان ينتعش من خلال علاقة عميقة وشخصية مع الرب يسوع، الذي كان يدعوه: " سيدنا الحلو "، " يسوعنا الحلو ". محبة الله فاضت في قلب كوزموس، وهذه عينة لما كان يقوله:

" الله الفائق الرحمة والكرم له كثير من الأسماء المختلفة، هو يُدعى نوراً وحياةً وقيامةً، لكن اسم الله الرئيسي هو المحبة. إن أردنا أن نحيا هنا في سعادة ونذهب إلى الفردوس يجب علينا أن يكون لنا محبتين: محبة لله ومحبة لإخوتنا ... فكما أن طائر السونونو يحتاج إلى جناحين للطيران في الهواء نحن أيضاً نحتاج لهاتين المحبتين (محبة لله ومحبة للناس) لأنه بدونهما يستحيل لنا أن نخلص ".

عالم غير شخصي:

نحن نحيا في مجتمع فيه نُمَثَل بالأرقام. فنحن بالنسبة للحكومة رقم قومي. وفي مكان عملنا لنا رقم آخر يُمَثِلنا، وفي الكلية نحن رقم، ولنا رقم في القوات المسلحة. وقد أُخبرنا أنه من الممكن للحاسب الآلي أن يترجم جميع سماتنا الشخصية لأرقام وبناء عليها يتم فرزنا وتعريفنا، وقد نصل إلى اليوم الذي نستقبل فيه الرسائل مُعَنونة برقمنا القومي ورقم الشارع والرقم البريدي.

أحد الأشخاص فحص محفظة نقوده واكتشف أنه يحمل كروتاً بنكية وبطاقات شخصية بمجموع ٢١ رقم مختلف، بهذه الأرقام هو مُعرَّف.

نستطيع أن نتعاطف مع مَن قال: " أنا أخيراً تعلمت كيف أحظى بالإهتمام، فعند استقبالي بطاقة من ماكينة سأطويها وأمزّقها وأقطعها، فتتوقف الماكينة عن العمل فيتعلموا اسمي ويكتشفوا أنني شخص ".

قال د.بول تورنيير مرة: " كلما ملأنا عالمنا بالماكينات، كلما زادت أهمية أن نعامل بعضنا البعض كأشخاص ".

أحد المحامين الناجحين سؤل مرة عن سبب نجاحه المتواصل في المحكمة. أجاب: " أنا أقول لهيئة المحلفين عن توم جونز وبيل جرين، ولا أشير إليهم مطلقاً قائلاً: " المتهم " أو" موكلي "، فقد وجدت أن هيئة المحلفين سيشنقوا المتهمين والموكلين لكنهم غير متلهفين لشنق توم جونز وبيل جرين ". هذا المحامي الناجح قد اكتشف أهمية ما هو شخصي.

عظمة الله:

السيدة همفري وارد Humphery Ward - الروائية الإنجليزية - كتبت مرة لعضو في البرلمان عن احتياجات مُلحة لأسرة محتاجة من بين ناخبيه، وسألته أن يعطي اهتماماً لهذه الأسرة. أجاب بأنه مشغول جداً بجنس الإنسان وليس عنده وقت للفرد.

هذه الليلة كتبت السيدة وارد في مذكراتها: " ربنا القدوس، في تعاملاته بيننا، لم يأخذ مثل هذا الموقف المُتعالي ". هنا عظمة إلهنا فمع أنه يحكم الكون إلا أنه عنده وقت يسمع ويهتم بكل فرد من أولاده شخصياً.

الرب يسوع أظهر مرات كثيرة أنه يفكر فينا ليس كجمع أو جمهور، بل كأشخاص وأفراد. نحن نردد: أنه يحبنا كأنه ليس غيرنا في هذا الكون "، وحقاً ليس غيرنا لأن كل واحد منا فريد، ففي هذا الكون الواسع ليس هناك أحد مثلنا تماماً، حتى شعور رؤوسنا محصاة ومعروفة عنده، هو يدعونا بأسمائنا، وهو مهتم بكل احتياجاتنا. فخدمة السيد المسيح بيننا إن كان لها هدف فهو إظهار محبته الشخصية لنا، فالرب يسوع صيَّر محبة الله شخصية:

- لزكا الذي ليس عنده صديق الجالس وحيد فوق شجرة.
- للأعمى الشحاذ الجالس على الطريق صارخاً بالمساعدة.
- للمرأة التي لمست طرف ثوبه طالبة الشفاء.
- للزانية التي كانت على مشارف الرجم بسبب خطيئتها.
- للأب الذي جاء مُتضرعاً من أجل ابنته المريضة.
- للص الذي صُلِبَ عن يمينه.
- وللمرأة السامرية التي قابلها عند البئر.

كان الرب يومه وساعاته مشغولة، لكن مع كل هذا لم يكن أبداً مشغولاً عن أن يقضي وقتاً مع الأفراد، ليظهر لهم أن الله يهتم بكل واحد منهم شخصياً.

عندما لمسته امرأة من الجمع في أحد الأيام، يسوع سأل: " مَن لمس ثيابي؟ "، تلاميذه كانوا مُعتادين على الجمع وكان الجمع يعني القليل لهم، فتعجبوا لسؤاله وقالوا " أنت تنظر الجمع يزحمك وتقول مَن لمسني ". لكن الرب يسوع لم يرد أن يتجاهل أحداً من بين الجمع، لم يرد أن يعامل أحداً بطريقة غير شخصية.

كم نحتاج في هذه الأيام أن نجعل محبة المسيح شخصية للناس، قيل عن أحد الوعاظ أن كل شخص من مستمعيه كان يشعر وكأن الرسالة متوجهة نحوه ونحوه وحده. كل يوم نحتاج أن نلقي بأحد الأيدي رأسياً لنستقبل محبة المسيح ثم نلقي بيدنا الأخرى أفقياً لنصوب هذا الحب للناس.

أحد أكثر اللقاءات شخصية كانت للرب يسوع مع المرأة السامرية عند البئر.

لقاء شخصي:

" فجاءت امرأة من السامرة لتستقي ماء، فقال لها يسوع أعطيني لأشرب "، لاحظ أن يسوع لم يبدأ حديثه مع المرأة السامرية مُلوّحاً بإنجيل ومتكلماً عن التوبة. هو فقط سأل من أجل مياه للشرب. لم يتصرف كشخص أعلى منزلة منها بل أقل منزلة، فهيَ عندها شيء هو يحتاجه: ماء.

المحادثة التي نمت بدأت بصورة غير رسمية، لكنها قبل أن تنتهي كانت قد غطت بعض الأسئلة العميقة في الأخلاق واللاهوت، لكن الشيء المُهم حقاً ليس محور المحادثة - مع أهميتها - بقدر ما هو اللقاء الشخصي جداً الذي يأخذ مكاناً، فهنا شخص حقيقي قد تقابل مع يسوع، ويسوع أعطاها كل تركيزه، فهيَ كأي منا شخص حقيقي، وقد قابلت شخصاً فريداً ... شخصاً ينظر مباشرة إلى داخل أعماقها ويعرف كل شيء عنها، كما قالت لأهل قريتها: " هلموا انظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت "، فهيَ صارت تعرف يسوع شخصياً نتيجة لهذا اللقاء (أنا - أنت) الذي كان لها معه.

أليس كلنا نحتاج لمثل هذا اللقاء الشخصي مع الرب يسوع لكي ما ننمو في الإيمان؟ أليس هذا ما يُقدِّمه لنا الرب يسوع في الصلاة، في قراءتنا اليومية لكلمته، في صلاة يسوع، في صلوات الساعات، في التناول؟ فهو يجلس على البئر الذي يدعوه صلاةً أو إنجيلاً أو تناولاً وينتظرنا لنأتي إليه لكي ما نحصل على لقاء شخصي، لقاء مُغيِّر للحياة ... معه. بقدر ما يكون لقاؤنا معه شخصياً بقدر ما يصبح إيماننا حقيقياً.

يعقوب وصراع مع اللـه:

نقرأ في العهد القديم أنَّ يعقوب صارع مع اللـه (تكوين ٣٢ : ٢٣- ٣٢)، ونفهم من هذه القصة أن هناك شيء عظيم حدث في حياة يعقوب، في مكان ما في حياته جاز تغييراً، اختباراً مع اللـه. ففي هذه الوقفة في حياة هذا الرجل الطموح أخذ بركة، ونعمة اللـه لمسته، ونتيجة لهذا الاختبار الشخصي مع اللـه تغيَّرت حياته، واسمه الجديد - إسرائيل - الذي أُعطي له هنا يوضح الشخص الجديد الذي إليه صار.

كمثل يعقوب الذي كان له صراع شخصي مع اللـه - لقاء شخصي معه - كل واحد منا أيضاً ينبغي عليه أن يقابل المسيح شخصياً، وعادةً يتم هذا ببعض الصراع، وأن نحسم الحياة له في وقت ما من الحياة.

الأرنب والكلاب:

هذه القصة من أقوال آباء البرية:

" الأب إيلاريون مؤسِّس الرهبنة في فلسطين سؤل: " كيف يمكن لأخ مجتهد أن لا يُعثَر عندما يرى رهباناً يتركون الرهبنة ويرجعون للعالم؟ ". أجاب الشيخ: " دعني أقص عليك قصة، اِعتبر أن هناك كلاب صيد يُطاردون أرانب وحشية، وتخيَّل أن أحد هذه الكلاب رأى أرنباً وعلى الفور يُطارده. الكلاب الأخرى التى معه يرون هذا الكلب يجري فيجرون خلفه مع أنهم لم يروا الأرنب، سيستمروا في الجري خلفه لكن لبعض الوقت فقط، وبعد مسافة الإجهاد والصراع ينهكهم فيكفوا عن المطاردة ويرجعون للخلف، لكن الكلب الذي رأى الأرنب يستمر في مطاردته وحده، ولا يسمح بأن الإجهاد والصراع يعوقانه على تكملة المسار الطويل، ويخاطر بحياته غير مُعطي لنفسه أي استراحة، ولا يسمح أن تحبطه رجوع الكلاب الأخرى فيتوقف، فهو يستمر في الجري حتى أن يقبض على الأرنب الذي رآه. هو لا يهتم بالموانع المُعثِرة في طريقه - إن كانت أحجار أم أشواك - ولا يهتم بالجراحات التي يصاب بها.

هكذا أيضا الأخ الذي يبتغي أن يتبع المسيح ينبغي عليه أن يثبت أنظاره على الصليب إلى أن يبلغ ذاك الذي صُلِبَ عليه، حتى لو شاهد جميع الناس ابتدأوا في الرجوع للخلف ".

لو اختبرنا اللـه شخصياً في المسيح، لو اختبرنا قيامته ... محبته ... نعمته ... سلامه... فرحه، فمثل ذلك الكلب الذي بالفعل رأى الأرنب، سوف لا نتخلى بسهولة عن سباق الحياة، سوف نحتمي في الإيمان حتى أن يأتي يومٌ نقف في حضرته ونسمعه يدعونا بأسمائنا: " تعال يا فلان، رِث المُلك المُعدّ لك منذ إنشاء العالم ".

من الفراغ إلى الإمتلاء:

كتب أحد المديرين الناجحين في العالم المهني: " حققت نجاحاً في عملي لكن كان شيء ما ينقصني، كنت أشعر بفراغ فظيع، فبعض الأحيان كنت أستيقظ في منتصف الليل وأخطو في أرضية الغرفة وأحدق خارجاً في الظلام لساعات، وكنت أذهب للمكتب للعمل ولكن كان هناك فراغ كبير في حياتي، ويوم ما انتبهت إلى ما كان ينقصني: حضور اللـه ... فرجعت إلى الكنيسة، وصرت عضواً فعالاً، وسلمت حياتي ليسوع وأسست علاقة شخصية عميقة معه. أستطيع أن أشعر بروحه داخلي، فقد تحولت من الفراغ إلى الإمتلاء ".

لا يوجد هناك في أية ديانة أخرى، أن المؤمن يدخل في علاقة شخصية مع اللـه مثل المسيحية، إنَّ هذه العلاقة الشخصية مع المسيح هيَ الفاصلة، بخلاف البوذية، الكنفوشية ... ، المسيحية تتطلب هذه الرابطة الحميمية والاتحاد الشخصي مع المسيح. **يجب أن نكون واحداً معه، واحداً معه بطريقة ما حتى أننا لا نستطيع أن نزعم أننا مسيحيون، إلا إن كانت حياتنا تعكس شخصية وفكر وإرادة وقلب وإنسانية الرب يسوع**، كما قال بولس الرسول: ***" أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ ".***

باسكال:

كتب د.بليز باسكال Blaise Pascal - الذي دُعِيَ بأنه أعظم عقل عاش - في كتابه " تاريخ مُصغَّر لحياة يسوع المسيح ":

" في منتصف ليل ٢٣ نوفمبر ١٦٥٤ يسوع كلمني وقال: بليز، كنت أفكر فيك وأنا في آلامي ". هذا الاختبار سبَّبَ تحولاً في حياة باسكال، فقد صار له حدث الصلب حدثاً شخصياً. قال صوت المسيح: " بليز ... من أجلك فعلت كل هذا ".

فالمسيح تألم ومات وقُبرَ ثم قام لا من أجل الإنسانية بشكل عام، بل من أجل كل واحد منا شخصياً، عندما ندرك ونقبل هذا فإن كل حياتنا تتغير.

ما الذي سوف تحققه لنا علاقة شخصية مع اللـه؟:

تنمية علاقة شخصية، قوية ويومية مع المسيح سوف تساعدنا على الأقل على تحقيق خمسة أهداف في الحياة:

١- سوف تُساعدنا على أن ننمو في الإيمان.

٢- سوف تُساعدنا على أن نختبر شخصياً حضور ومحبة وقوة اللـه، فتجعلنا شهداء martyres، شهوداً مؤثرين لحسابه في العالم.

٣- محبة اللـه سوف تملأنا حتى الفيض، فتمكننا من أن ننشئ مجتمعات محبة في البيت والعمل والكنيسة.

٤- القديس جيروم يقول: " الشركة مع اللـه هيَ الحياة، والانفصال عن اللـه هو الموت ". فتنمية علاقة يومية شخصية مع المسيح سوف تعزز شركتنا مع اللـه وتملأنا بالحياة - حياة اللـه.

٥- إن كان القداس الإلهي يبدو رتيباً، أو طقوس الأسرار مملة، فيجب عليَّ أن أسعى لمعرفة الرب يسوع، وهو سيساعدني لكي أراه - في مركز كل قداس وكل سر - مقدماً نفسه لي في محبة. وإن كان الكتاب المقدس يبدو لي أنه يحمل أخبار سيئة بدلاً من الأخبار السارة فعليَّ أن أسعى لمعرفة المسيح، وحينئذٍ سأجد أن الكتاب المقدس هو ليس إلا المسيح يكلمني شخصياً كلمات الحياة الأبدية، وإن وجدت أن ذهاب الكنيسة يوم الأحد واجب مزعج فعليَّ أن أسعى لمعرفة الرب يسوع بطريقة شخصية، وحينئذ سأجد نفسي أريد الذهاب لأقابله شخصياً - في القداس الإلهي - وأستقبله في مزود روحي، فليس هناك بديل لمعرفة الرب يسوع شخصياً وأن نتعلم أن نحبه بأمانة. عندما يحدث ذلك كل شيء سيصير مملوءاً بالحياة.

إيمان شخصي لطفلة صغيرة زنجية:

عندما كانت طفلة زنجية صغيرة من نورث كارولينا تحت حماية الحراس وهيَ ذاهبة إلى المدرسة سنة ١٩٦٢م، قالت: " كنت وحدي، وكان هؤلاء الأشخاص (الذين يؤمنون بالعزل العرقي) يصيحون فيَّ، وفجأة شاهدت الله يبتسم لي ... فابتسمت أنا أيضاً له "، ثم أكملت " هناك صاحت فيَّ امرأة كانت واقفة بجانب باب المدرسة قائلة: يا زنجية يا صغيرة على ماذا تبتسمي؟ فنظرت مباشرة إلى وجهها وقلت: أبتسم لله، فنظرت هيَ عالياً إلى السماء ثم نظرت إليَّ ثم توقفت عن سَبيَّ بألفاظ ".

هذه الطفلة الصغيرة كانت لها علاقة شخصية دافئة مع يسوع أمدتها بسلام واتزان داخلي، وهذا ما هو إلا حضور الله فيها، فالله ابتسم ببركة حضوره ومحبته عليها وهيَ ردت الابتسامة.

شهر عسل أبدي مع يسوع:

لكي ما نفهم إلى أي مدى محبة الله قوية وشخصية، سألفت انتباهكم لما قاله أحد آباء الكنيسة عن ميعاد نياحته الوشيك. قال: إنه يتطلع بشوق ليوم موته كشوق العريس الشديد لكي يكون مع عروسه في يوم زواجه، فالموت له هو بداية شهر عسل أبدي مع يسوع - العريس السماوي - الذي ندعوه " يسوع الحلو " في أحد خدماتنا التعبدية.

الله يعمل عملاً عظيماً فينا، فهو يُشكل المسيح فينا فهل نسمح له؟ هل نسعى أن نعرفه شخصياً؟ هل ننمو في محبتنا له؟ هل نتخلى عن إرادتنا له؟ هل نتوب؟ هل نتبعه؟ هل يتقدَّم إيماننا الشخصي به وبالتالي يكون إيماناً أكثر حقيقة؟ هل نعكس محبة الله الشخصية لِمَن هم حولنا؟ هل محبتنا للآخرين تصير أكثر شخصية؟.

سأختم بصلاة عيد الميلاد الرائعة التي للمطران فيليب الذي من ايبارشية أنطاكية:

عيد ميلاد يسوع المسيح:

أيُّها الرب ... ماذا أُقدِّم لك في يوم عيد ميلادك، عوضاً عن محبتك اللانهائية؟.
ليس لي ذهب أو فضة، ولا مر أو لبان.
بيتي ليس له سقف، وليس عندي غرفة لك، ولا حتى مزود. وروحي أكثر ظلمة من غيمة أهوائي، وعيناي معتمة جداً فلا تستطيع النظر إلى ما وراء أفق نفسي.
ساعدني لكي أشاهد نجمك الساطع، " فبنورك يارب نعاين النور ".

أيها الرب ... كنت على مدى تسعة وثلاثين عاماً تقرع على بابي، لكنني لم أجرؤ أن أدخلك لأن ثوبي ليس أبيّضَ كالثلج.
سامحني إن كنت لا أستضيفك على مائدتي، لأن مائدتي مليئة بأصناف أنت تزدري بها. أنا قد أنكرتك أكثر من بطرس، شككت فيك أكثر من توما، وخنتك أكثر من يهوذا.
يداي فارغتان، وشفتاي غير طاهرتين لأُغني بحمدك، وقلبي تجعد من الأحزان مثل ورقة ذابلة من تأثير رياح الخريف.

أيها الرب ... الشيء الوحيد الذي أستطيع أن أُقدِّمه لك هو نفسي. اغرقني في محيط محبتك.
اطعمني من خبزك السماوي فخبز هذا العالم لن يشبع جوعي أبداً.
اروي عطشي بينبوعك المُقدَّس فماء هذه الأرض لن يرويني أبداً.
اعطني عينيك لأرى ما ترى، وأذنيك لأسمع ما تسمع، وقلبك لأحب مَن تحب.
خذني معك على جبل طابور، ودعني أغتسل في نورك الأبدي.

أيها الرب ... " قلباً نقياً اخلقه فيَّ، من أمام وجهك لا تطرحني، اردد لي سرور خلاصك، فيؤيدني روح كريم ".

علمني كيف أُصلي بكلمات بسيطة، فبالصلاة فقط سوف أتغلب على وحدتي.
ساعدني لكي أهتم بالمحتاجين والمُضطهدين والأيتام والخطاة والمنبوذين الذين تحبهم أنت.
أتضرع إليك وأنا ساجد أمام مزودك بكل حب واتضاع أن تسمع صلاتي.

عيد ميلاد يسوع المسيح للمطران فيليب.

فهرس الكتاب

تقديم لنيافة الأنبا متاؤس : ٩

الباب الأول : إحساس شخصي بالارتباط بالله : ١١

الباب الثاني : إله إبراهيم وإسحق ويعقوب : ١٧

الباب الثالث : الله يجب أن يُختبر : ٢٧

الباب الرابع : أن تعرف الله شخصياً : ٣٩

الباب الخامس : ماهيَ العضوية الكنسية؟ : ٤٩

الباب السادس : الرب يسوع : مُخلِّص كوني أم شخصي : ٥٩

الباب السابع : الصلاة لقاءٌ شخصي : ٦٧

الباب الثامن : التفاعل الشخصي مع أسرار الكنيسة : ٧٩

الباب التاسع : السِّمَة الشخصية للروحانية الأرثوذكسية : ٩١

الباب العاشر : السِّمَة الشخصية للعقيدة والتقليد المُقدَّس : ٩٩

الباب الحادي عشر : الكتاب المقدس كتاب شخصي : ١٠٩

الباب الثاني عشر : مشاركة إيماننا للآخرين بشكل شخصي في محبة : ١٢١

الباب الثالث عشر : لقاءات شخصية مع الله : ١٢٩

يُطلب هذا الكتاب من:

- بيت أبو سيفين للمرضى - شبرا.

ت: ٠١٦ ٥١٨٩٢٩٩ - ٢٢٠٤٧٩٤٦

- سائر المكتبات المسيحية.

E-mail: erinipasy@yahoo.com

(سعر النسخة ٦ جنيهات)

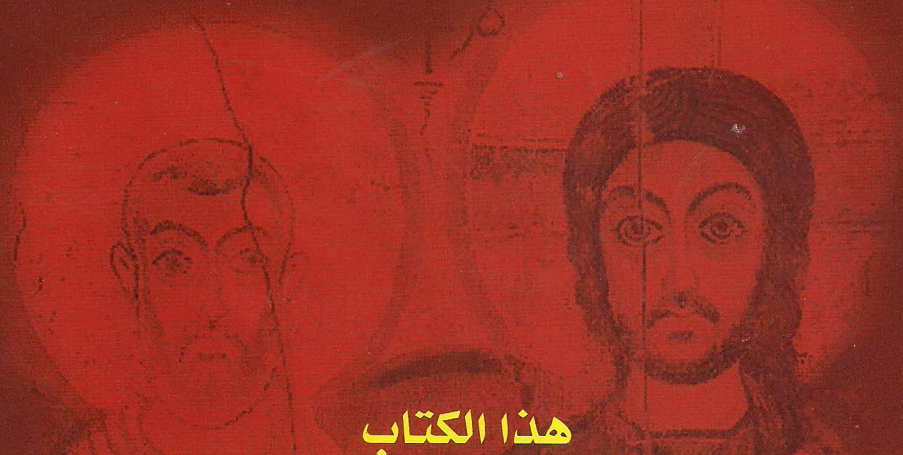

هذا الكتاب

كتاب "العلاقة الشخصية مع الله" ، كتاب قيم، يبين فيه الكاتب "الأب أنتوني كونياريس" أن الصلاة لقاء شخصي مع الله، وقراءة الكتاب المقدس لقاء شخصي مع الله، والتناول من الأسرار المقدسة لقاء شخصي مع الله.

فيجب على كل مسيحي أن يتعرف على الله شخصياً، وتكون له علاقة شخصية ولقاءات شخصية مع الله، ويتذوق الله، وينظر إليه، وينتظره ، ويترجى مراحمه ومعونته دائماً ، كما يقول المرنم "ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب" (مز٣٤:٨)، كما يقول في نفس المزمور "جميع الذين نظروا إليه استناروا ووجوههم لم تخجل" (مز٣٤:٥)، الرسول يعقوب يقول "اقتربوا إلى الله فيقترب اليكم" (يع ٤:٨)، والرسول بطرس يقول "انموا في النعمة وفي معرفة ربنا يسوع المسيح" (٢بط٣:١٨)، فالمؤمن محتاج أن ينمو في معرفته لله وعلاقته الشخصية معه حتى ينمو في النعمة وفي حياته الروحية، وتصبح له علاقة حميمية معه فيها مشاعر حب ودالة "نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولا" (١يو٤:١٩)

ليكون هذا الكتاب سبب بركة لكل من يقرأه، ويحاول أن يتعرف ويتقرب أكثر إلى شخص الرب يسوع الفادي الحبيب، ويتعمق في معرفته باستعمال وسائط النعمة المتنوعةحتى ينمو في النعمة وفي معرفة ربنا يسوع المسيح، ويتقدم في حياته الروحية حتى يصل إلى الإنسان الكامل، إلى قياس قامة ملء المسيح (أف٤:١٣).

الأنبا متـــاؤس
أسقف دير السريان العامر